أشرف أبوجليل

مهمّة سرّيّة

رواية لليافعين

الكتاب: **مهمّة سرّيّة**
المؤلف: أشرف أبوجليل
التصميم الداخلي: حمدي شوقي
(2022)

رقم الإيداع: 2022/1765
الترقيم الدولي: 978-977-846-228-9

مؤسسة بتانة الثقافية
القاهرة
34 شـارع طلعـت حـرب
عمارة يعقوبيان
ت: 9506 0201 2011+

www.battana.org
info@battana.org
@battana.org
@Battana_

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر؛
طبقًا لقوانين حفظ حقوق الملكية الفكرية.

لا يُسمح بإعادة استخدام وطبع أو توزيع أي جزء من مادة الكتاب، مرئيًا، أو صوتيًا، أو مطبوعًا، أو إلكترونيًا، دون إذن مُسبَق من الناشر، طبقًا لقوانين حفظ حقوق الملكية الفكرية.

الآراء الواردة في الكتاب تعبّر عن رأي مؤلفها، ولا تعكس بالضرورة رأي مؤسسة بتانة.

أشرف أبوجليل

مهمّة سرّيّة

روايـة لليافعين

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
منشورات بتانة

الفهرس

إهـــداء 7

الفصل الأوّل 9
الفصل الثّـــاني 17
الفصل الثّـالث 31
الفصل الـــرّابع 41
الفصل الخامس 55
الفصل السّادس 69
الفصل السّابــع 73
الفصل الثّامــن 85
الفصل التّاســع 91
الفصل العــاشر 107
الفصل الحادي عشر 119
الفصل الأخـــير 133

إهداء

إلى أبنائي قرَّائي
لميس ونضال وجهاد ونسوم وزياد
وإلى شباب الأمة
الذي يجلس ساعات طويلة أمام وسائل التواصل
أهدي هذه الرواية

أشرف أبوجليل

الفصل الأوّل

في لهجةٍ مُحذرةٍ وخبيرةٍ بسلوكِ ابنتِها قالتْ الأمُّ:

- لا تفتحي الموضوعَ يا خضراءُ مع والدِك، أنا سأفتحُهُ معَهُ بعدَ الانتهاءِ من الغداءِ، خذي طبقَ الحساءِ وضعيهِ على السُفرةِ وتعالَي.

وأرسلَتْ وراءَها جملتَها المُكَرَّرَةَ:

- انتبهي؛ حتى لا يسقطَ منكِ الطبقُ، فأنتِ لستِ صغيرةً.

ذهبتْ بالطبقِ دونَ أنْ تُعَلِّقَ على كلامِ أمِّهَا. وكعادتِهَا، نظرَتْ بدهشةٍ فاتحةً فمَهَا نِصفَ فتحةٍ ولمْ تَرُدْ.

- ماذا آخذُ بعدَ ذلكَ؟

- خـذي أطبـاقَ التوزيـعِ وضعِيهَـا، وهـاتِ لِي خطـابَ اسـتدعاءِ المدرسَـةِ لوالـدِكِ.

- أَلَمْ تقولِي ستتحدثينَ مَعَ والدِي بشأنِهِ بعدَ الغداءِ؟

- نعمْ، سأحدِّثُهُ بعدَ الغداءِ، لقدْ كثُرَتْ مشاكلُكِ في المدرسةِ.

واستمرَّتْ في تقطيعِ الخضرواتِ في طبقِ السَّلَاطَةِ بينَمَا ذهبَتْ الابنة بأطباقِ التوزيعِ وعادتْ لتَجِدَ أمَّهَا تنتظرُها بسؤالٍ:

- هَلْ هِيَ مجموعةُ البناتِ نفسُهَا التي تفتعلُ الشجارَ مَعَكِ كُلَّ مَرَّةٍ؟

- نعمْ، ولكنَّ المعلمةَ انضمَّتْ لهُنَّ اليومَ.

- كيفَ تطوَّرَ الأمرُ ليصلَ إلى إرسالِ خطابِ استدعاءٍ لوالدِكِ؟

- لا شيءَ، بعدَ المشكلةِ استدعَتِ المعلمةُ الإخصائيةَ التربويةَ، فأخذتْني الإخصائيةُ ووضعَتْني في غرفةٍ فارغةٍ مجاورةٍ غرفتَهَا، وَظَلَلْتُ فيهَا، لَمْ يدخُلْ علينَا أحدٌ مِنَ الحصَّةِ الرابعةِ حتى مَوعِدِ المغادرةِ، وعندما هممت بالخروج في موعِدِ المغادرةِ سلَّمَتْني خطابَ الاستدعاءِ، وشدَّدَتْ على ضرورةِ حضورِ والدي غدًا للمدرسة.

- خذي طبقَ السلاطةِ هذا وضَعيهِ في منتصفِ السفرَةِ.

Baffanalu PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

خرجَتْ، بينمَا الأمُّ تفكِّرُ في هؤلاءِ البناتِ اللاتي ينكِّدْنَ على ابنتِهَا، بدأن معها باتهامِها بِتُهَمٍ طفوليةٍ، مثل: أنَّهَا تحسُدُ أشياءَهُنَّ، ويُبِرِّرْنَ أيَّ كسرٍ لأداةٍ مدرسيةٍ لإحداهُنَّ أو قطعٍ في ملابسِ إحداهُنَّ بعينِ ابنتها الفتاكةِ التي تدمِّرُ ما تريدُ تدميرَهْ. وتصاعد إلى تفسيرِ مرضٍ أو إخفاقِ إحداهُنَّ في اختباراتِ الشهرِ الدراسيةِ بالتفسيرِ نفسِهِ الذي يؤلمُ ابنتها، ووصلَ الأمرُ مداهُ الفادحَ إلى حدِّ تفسيرِ موتِ أحدِ المعلمينَ بسببِ عينِ ابنتِهَا. وسخَرَتْ الأمُّ مِنْ هذا السُّخْفِ.

انصرفتْ بالملاعقِ، وتَبِعَتْهَا الأمُّ بباقي الطعامِ، واتخذَتْ مكانَهَا أمامَ زوجِهَا بجوارِ ابنتِهِمَا الوحيدةِ، وداعبَتْهما بكلماتِهَا المعتادةِ عنْ طعامِهَا الشهيِّ الذي يفوقُ ما يفعلُهُ أيُّ طباخٍ محترفٍ.

وكالعادةِ هزَّ الأبُ رأسَهُ موافقًا باقتضابٍ:

- طبعًا طبعًا.

بينما ابتسمتْ ابنتها نصفَ ابتسامةٍ.

- كلي جيدًا يا ابنتي فإنني ألاحظُ أنَّكِ لا تأكلينَ كما ينبغِي، وأكثِرِي من السلاطةِ. قالَ الأبُ.

هزَّتْ الأم رأسَهَا، وامتدادًا لنصيحةِ الأبِ قالتِ:

- إنَّها تعودُ مِنَ المدرسةِ ومَعَهَا طعامُهَا، لمْ تأكلْ منهُ إلا القليلَ.

- إنها في الثلاثَة عشرة، وتعلمُ ما قالَهُ الطبيبُ عن ضعفِهَا. وهِيَ بنفسِهَا قرأتْ عَنِ حالة "سوء التغذية"، وما تفعلُه بالجِسمِ. قال الأب.

انتهى الوالدُ مِنْ طعامِهِ، وقامَ ليغسِلَ يديهِ ويذهبَ إلى الصالونِ. تَبِعَتْـهُ الأمُّ بعـَد أنْ أعـدَّتِ الشـايَ بالنعنـاعِ الـذي يحبُّـهُ، وجَلَسَـتْ إلى جـوارِهِ. بينَـما ذهبَـتْ الابنـة إلى حُجرَتِهَـا وانهمَكَـتْ في عالَمِهـا الافـتراضيِّ عـلى جهاز لكمبيوتر الذي تتعاملُ معه منذُ خمسِ سـنواتٍ وتعكُـفُ عليهِ بالسـاعاتِ تتابعُ خـوارقَ الطبيعةِ وما يفعلُهُ السـحرَةُ، والجديـدَ في أفـلامِ عالمِ الفضـاءِ، وعالمِ الحيـوانِ، وكُلِّ غرائبِ الطبيعة.

شرِبَ الدكتور طاهر شايَهُ وأثنَى على زوجتِهِ صفاء وطعامِهَا وشايِهَا، وحدَّثَهَا كالعادةِ عَنْ إرهاقِ يومِهِ الجامعيِّ مَعَ الطلابِ، متبرِّمًا من أغلبِهِمْ، الذين لا يعرفون شيئًا عن البحثِ العلميِّ ويُشغِلُونَ كُلَّ وقتِهِمْ بمواقعِ التواصلِ الاجتماعيِّ، وأنَّ نتائجَ نِصفِ العامِ الأولِ في الجامعةِ عمومًا لمْ تكُنْ على ما يُرامُ.

وكالعادةِ، وافَقَتْهُ صفاءُ على ما يقولُهُ، مضيفةً إلى وجهةِ نظرِهِ في طلابِهِ ما تراهُ في الجريدةِ مِنْ زملائِهَا الصُحفيينَ الجُدُدِ واستسهالِهِم في أخذِ الأخبارِ دونَ تدقيقٍ، بلْ وسرقةِ الأفكارِ مِنْ مواقعِ الصُحُفِ على

الإنترنت مَعَ تحريفٍ بسيطٍ للموضوعاتِ. ووجدَتْ صفاءُ أنَّ الكلامَ مناسِبًا الآنَ عَنْ مشكلةِ ابنتهما فَفَتَحَتِ الموضوعَ:

- اليومَ أرسَلَتْ لنَا المدرسةُ "استدعاءَ وليِّ أمرٍ" لمشكلةٍ تخُصُّ ابنتنا. وتطلبُ حضورَكَ غدًا.

- خيرْ! واضحٌ أنَّ ابنتَنَا كَبُرَتْ وبدأتْ في مشاكلِ سنِ المراهقةِ المقلق.

- مشكلةٌ متكررةٌ مَعَ أربَعِ زميلاتٍ لَهَا. ولمْ أشأ أنْ أعكِّرَ صفوَكَ بِهَا مِنْ قبلُ، إنهُنَّ يَفْتَعِلْنَ الشِّجَارَ مَعَ ابنتنا كُلَّ يومٍ.

- لماذا تنحازينَ لابنتِكِ كما تفعلُ معظمُ الأُمَّهَاتِ؟ أليسَ مِنَ الأوفقِ أنْ نعرفَ المشكلةَ بحيادٍ؛ حتى نضعَ الحلَّ لَهَا؟

- لا توجدُ مُشكِلَةٌ، إنه مجردُ كلامِ أطفالٍ، يَتَّهِمْنَ ابنتَك بأنَّ عينَهَا مُدمِّرَةٌ، هههه تحسُدُ ما تراهُ وتُدَمِّرُهُ، معللينَ كسرَ الأدواتِ المدرسيةِ الجديدةِ أو تمزقَ الثيابِ الجديدةِ لإحداهُنَّ دليلًا وسببًا للشجارِ مَعَهَا.

- ولماذا لمْ تتدَخَّلِ المدرسَةُ في هذا الشأنِ وتُهدئُ الفتياتِ وتُصالِحُهُنَّ معا؟ هَلْ أتركُ مشاغلي الجامعيةَ لحلِّ مشكلةٍ تافهةٍ بهذا الشكلِ؟

Bahtanäili PUBLISHING HOUSE

- ابنتُنَا تقولُ إنَّ المعلمةَ انحازَتْ للطالباتِ الأخرياتِ، واستدعَتِ الإخصائيةَ التربويةَ التي لمْ تفتحْ أيَّ حوارٍ مَعَ ابنتِنَا، بَلْ حَجَزَتْهَا في غُرفَةٍ بمفردِهَا ثلاثَ ساعاتٍ، وأعطَتْهَا في نهايةِ اليومِ استدعاءً لكْ.

ناولَتْه الاستدعاءَ. ونادت على الابنة لتحضِرَ مُنْ غرفتِهَا، فحضرَتْ مُسرعةً، فقابلَهَا والِدُهَا باستفسارٍ محايدٍ.

-خيرْ! ماذا حَدَثْ؟ والِدَتُكِ تقولُ: إنهُنَّ اعتَدْنَ الشجارَ مَعَكِ على كلامٍ فارغٍ.

احمَرَّتْ وجنتَاها، وامتلأَتْ عينَاها بالدموعِ، وتكلَّمَتْ بصوتٍ مَخنوقٍ بالبُكاءِ.

- إنَّهُنَّ يُرَدِّدْنَ ذلكَ على كُلِّ الطالباتِ، ويُحَذِّرْنَ صديقَاتي منِّي، بلْ إنَّ بَعضَ الصديقاتِ بدَأْنَ يُعَامِلْنَنِي مُعاملةً غيرَ ذي قبلْ، وَبَدأَ بَعضُهُنَّ يتعمَّدُ إخفاءَ أشيائِهِ مِنْ أمامِي بما يجرحُ كرامتي، بلْ بعضُهُنَّ يقولُ ذلكَ لِي في وجهِي، وأظنُّ أنَّ الإخصائيةَ عندَمَا وضعَتْنِي في غرفةٍ بمفردِي كانت مصدقةً لكلامَهُنَّ وتَخافُ أنْ أحسُدَهَا أوْ أدمرَ أشياءَها.

- هلْ وصلَ الأمرُ إلى هذا الحدِّ؟ ألمْ تتناقشْ مَعَكْ؟

- لا، لمْ تتحدَّثْ مَعِي.

ضَمَّتِ الأمُّ ابنتَهَا إلى صدرِهَا، وقالتْ لزوجِهَا في لهجةِ مَنْ فكَّرَ وحَسَمَ الأمرَ:

- اتركْ لِي هذا الموضوعَ، سأذهبُ للمدرسةِ غدًا، المدارسُ الخاصةُ تخافُ من الصُحفيينَ، ولا بُدَّ أنْ يعرِفُوا أنَّهُمْ لَمْ يَحمُوا ابنتي مِنْ تنمُّرِ زميلاتِهَا، بَلْ شاركَتِ إدارة المدرسةِ في التنمُّرِ عندما انحازتْ المعلمةُ للطالباتِ وتقاعست الإخصائيةُ عن ردْعِهِن، وحجزِهَا لابنتي في غرفةٍ أشبهَ بالسِّجنِ الانفراديِّ، ما الجريمةُ التي ارتكَبَتْهَا ابنتي؟ إنَّ هؤلاءِ الطالباتِ يمارِسْنَ التنمُّرَ منذُ بدايةِ العامِ، وأنا أقولُ لنفسي "لعبُ عيالٍ" أو غيرةٌ، أو تحزُّبَاتِ أطفالٍ، لكنْ طالمَا المدرسةُ استدعَتْنَا فقدَ وجبَ فتحُ الموضوعِ.

- لا تكبِّري الموضوعَ، المسألةُ لا تعدو إهمالًا تربويًا، فالمدرسةُ كغيرها - رغبةً منها في تقليلِ ميزانيةِ الرواتبِ - تعتمدُ على خريجينَ تربويينَ شبابٍ لم يتمرَّسُوا على التوجيهِ والإرشادِ بدلًا من أصحابِ الخبراتِ، دعي الأمرَ لي وسأحُلُّهُ بهدوءٍ غدًا، ومن أجلِ خاطرِكِ يا صغيرتي سأذهبُ للمدرسةِ ظهرًا بعدَ أنْ أمرَّ على الجامعةِ، فعندي اجتماعٌ مهمٌ بِهَا غدًا صباحًا.

Battanāili PUBLISHING HOUSE

- بَلِ اتركِ الأمرَ لِي، فلديكَ مشاغلُكَ الجامعيةُ، كما أنك لا تعرفُ أن والدَ إحداهُنَّ هوُ اللواءُ عمر نصر مديرُ شرطةِ المدينةِ، ووالدُ الأخرى منصور عبد الراضي المحاميُّ الشهيرُ رئيسُ نادي المدينةِ ويصادقُ كبارَ القومِ، فهُمْ ضيوفٌ عندَهُ في النادي دائمًا، والثالثةُ خالُها الإعلاميُّ الزاعقُ بالفضائياتِ تامر شوباش، ووالدُ الرابعةِ الشيخُ عطية مبارك الواعظُ الدينيُّ المعروف. ويتصوَّرونَ - بما لهم من نفوذٍ - أنَّهُمْ قادرون على قهرِ أولادِ الناسِ، ويشجِّعونَ أبناءَهم على التعالي على الخلقِ.

- هذا أدْعَى لأن أذهبَ أنا وأديرَ الموضوعَ بحكمةٍ. ليسَ من المعقولِ أن تذهبي إليهم وأنتِ بكُلِّ هذا الغضبِ. ابنتي ستأخذُ حقَّهَا، فاطمَئِنِّي.

Bottandali!
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

الفصل الثّاني

Battanäili
PUBLISHING HOUSE

سألَ الدكتورُ طاهر زميلَهُ الجالِسَ عن يمينِهِ عنْ سببِ اجتماعِ مجلسِ الكليةِ، فقالَ:

- ربُّمَا يكونُ بسببِ مظاهرةِ بعدَ الغدِ، التي يحشدُ لهَا الطلابُ، رفضًا لانتهاكاتِ الدولةِ المجاورةِ لاتفاقياتِ الحدود، أوْ ربُّمَا صَدَرَتْ إليهِ توجيهاتٌ مِنْ مجلِسِ الجامعةِ.

قطعَ الحديثَ بينهُمَا دخولُ عميدِ الكليةِ بوجهِهِ المكتَظِّ الذي يميلُ إلى الحُمرةِ دائمًا، حيَّا العميدُ الحضورَ، وجلسَ على

رأسِ الطاولـةِ، واسـتهَلَّ كلامَـه بالحديـثِ عـنْ جهـودِ الدولـةِ في حَـلِّ القضيـةِ مَـعَ الدولـةِ المجـاورةِ، وأنَّ القيـادةَ العليـا تَطْلـبُ أنْ يعـيَ الشـبابُ أمرين، الأولَ: أنَّ بلدَنا لا تقبلُ أيَّ اعتداءٍ على الأرضِ وتعتبرُ الأرضَ هـي العـرضُ. والثـاني: أن يـدركَ الشـبابُ أنَّ الحـلَّ ليـسَ في المظاهـراتِ وشـحنِ الـرأيِّ العامِّ وتهييـجِ الناسِ، بلْ في العمـلِ والعلمِ لتطويـرِ بلدِنـا، خصوصًـا وأنَّ العدوَّ أنشـاء مصانعَ على الحـدودِ تهدِّدُ بسرطنـةِ الجَـوِّ. وحركةَ الريـاحِ سـتجلِبُ الانبعاثاتِ المسرطنـةِ لأجواءِ بلدِنَـا، مُـمَّا يُدَمِّـرُ مُحافظاتِنَـا الحدوديةِ.

نظـرَ إلى سـاعتِهِ؛ ليتأكـدَ أنَّ الوقـتَ مـازالَ أمامَـه للذهـابِ إلى مدرسـةِ ابنتِـهِ ليَحُـلَّ قضيَّتَهَـا، إذْ إنَّ مظاهـراتِ الطـلابِ لَمْ تتوقـفْ يومًـا، ولـنْ تتوقّـفّ في المسـتقبَلِ، وهـذهِ الكلـماتِ نفسَـهَا هِـيَ مـا يَسـمَعُهَا مـنْ عميـدِ الكليَّـةِ عِنـدَ كُلِّ مُظاهـرةٍ. وكأنَّهَـا توجيهـاتٌ دائمـةٌ، تعـوَّدَ أنْ يُلقِيَهَـا قَبْـلَ كُلِّ مُظاهـرةٍ.

اسـتأذنَ في الانـصرافِ مـن الاجتـماعِ لأمـرٍ عائـليٍّ وقبِـلَ عميـدُ الكليـةِ عُـذرَهِ وكان آخـرَ مـا ترامـى إلى مسـامِعِهِ مِـنْ كلامِ العميـدِ "الجامعـةَ تفكِّـرُ في إعطـاءِ يومِ المظاهـرةِ إجازةً طارئـةً؛ لتقليصِ عددِ المشـاركينَ وقصرِهِـمْ على مُنظِّمِـي المظاهرةِ. وهمْ مَعروفونَ بالاسـمِ،

ممـنْ يكتبـونَ لافتـاتِ التنديـدِ بالعـدوانِ، والمطالبـينَ بالتظاهـرِ على صفحـاتِ التواصـلِ الاجتماعـيِّ، وأنَّ الدولـَة أحيانًـا تُسـانِدُ هـذهِ المظاهـراتِ؛ لتضغـطَ بهـا دوليًـا عـلى الدولةِ المجـاورةِ؛ لعـدم انتهاك الحـدود وفي الوقـتِ نفسِـهِ تريدُ المظاهـرةَ بأعدادٍ محـدودةٍ؛ لإمكانِ السـيطرةِ الأمنيـةِ عليهـا".

انطلقَ بسـيارتِهِ إلى مدرسـةِ ابنتِـهِ. وصلَ متأخرًا نِصفَ سـاعةٍ عَنِ الموعِـدِ، ورغـمِ أنَّ اللافتـاتِ الإرشـاديةَ موجودةٌ على جدران المدرسـةِ مِنْ سنواتٍ فإنَّهُ لَمْ يَـرَهَا إلا اليومَ، أخــَذ يقرَأهَا لأولَ مـرةٍ (المدرسةُ بيتُـكَ.. ومعلمُـكَ والـدُكَ)، (التنمـرُ جريمـةٌ يعاقِـبُ عليهَـا القانُـونْ)، (لا وَسـاطةَ وَلا محسـوبيةْ.. كُلُّنَـا في المَسـؤوليةْ)، (الأمُّ مدرسـةٌ إذا أعددتَهَـا أعـددْتَ شـعبًا طيِّـبَ الأعـراقِ). مـرَّ عـلى هـذهِ اللافتاتِ في الطُرقـةِ المؤديـةِ إلى حُجـرةِ مديـرةِ المدرسـةِ وابتسـم سـاخرا.

وصـلَ إلى مكتـبِ المديـرةِ، ألقَـى تحيتَـهُ باحـترامٍ وجلـسَ، فقطـعَ بتحيتِـهِ حديثـًا بـينَ المديـرةِ وأربعـةِ رجـالٍ جالسـينَ معهَـا، وعندَمَـا اسـتأنفُوا الحديـثَ فُوجِـئَ أنَّ الحديـثَ مُنصَـبٌّ حـولَ واقعـةِ ابنتِـهِ، وسُرعـانَ مـا قدَّمَتْـهُ المديـرةُ للجالسـينَ: دكتـور طاهـر والـدُ خـضراءَ، وبدوْرِهَـا قدَّمَتِ الجالسـينَ إليـهِ: اللواءُ عمر نصر مِـنْ وُزارةِ الشرطة،

المستشارُ منصور عبد الراضي المحاميُّ الشهيرُ ورئيسُ نادي المدينةِ، والشيخُ عطية مبارك العالمُ الشرعيُّ المعروفُ. وهُنَا التفتَ الدكتور إلى مَن يجلسُ على يمينِهِ. وقال: الإعلاميُ الكبيرُ تامر شوباش. نعرفُهُ ونتابعُ برامِجَهُ الناريةَ، وأردفَ:

- أعتذرُ عن التأخيرِ يا أستاذةُ؛ فقدْ عُقِدَ اجتِمَاعٌ طَارِئٌ؛ لاحتواءِ آثارِ مظاهراتِ بعدَ غدٍ. وأنتمْ تعلمونَ الجامعةَ وما تتحمَّلُهُ مِن مُشكلاتٍ بسببِ شبابِهَا المتهورِ الداعي للمظاهراتِ. وبابتسامةِ مَنْ يريدُ تبسيطَ الموضوعِ قالَ: يبدو أنَّ الموضوعَ قدْ كَبُرَ بِلا دَاعٍ، ومَا كنتُ أظنُّ أنَّ المدرسةَ لا تقدرُ على مصالحةِ عدَّةِ طالباتٍ تشاجَرْنَ معًا أوْ تنهَرُهُنَّ أوْ تُفَرِّقُهُنَّ على الفصولِ، أو تُصَحِّحُ مفاهيمَ الطالباتِ عَنِ الحسدِ وأنْ يكونَ للإخصائيتينَ – التربويةِ والنفسيةِ – دَورًا في تَهذيبِ سلوكياتِ الطالباتِ.

Bahaa
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

هنَا أحسَّتِ المديرةُ أنَّ المشكلةَ سَتُلقَى في حِجْرِهَا رُغْمَ أنَّ المشكلةَ تخصُّ ابنتَهُ، فقاطَعَتْهُ:

- المدرسةُ تفعلُ مَا عليهَا، ويكفينَا أنَّنَا نَفْصِلُ البنينَ عَنِ البناتِ، وهذا – كَما تعلمونَ – يُرهِقُ المدرسةَ، ولكنَّ الموضوعَ كبيرٌ فِعلًا،

أنَـا أتابِعُـهُ مِـنْ أولِ العامِ الـدراسيِّ، وقدْ ثبُتَ لي يقينًـا أنَّ عينَي ابنتِكَ مُدَمِّرَةٌ، وليسَـتْ حاسـدةً فقطْ.

- يَـا أسـتاذةُ، عيـبٌ أنْ يَكـونَ هـذا مَنطقَـكِ وأنت تربويـةٌ كبيرةٌ، وأمينـةٌ على تشـكيلِ وِجـدانِ الطالبـات ووعيهن.

هُنَا ردَّ المستشارُ منصور عبد الراضي بصوتٍ عالٍ:

- الحسـدُ مذكـورٌ في الأديـان، وابنتُـكَ ليسَـتْ حاسـدةً، ابنتُـكَ مُدمِّـرَةٌ، كَـما وصفَتْهَـا الأسـتاذةُ المديـرةُ.

بهـدوءٍ وثقـةٍ قـرأ اللـواءُ عمـر دهشـةَ الدكتـورِ الباديـةَ في عينيهِ، وقبْـلَ أنْ يـردَّ قـالَ اللواءُ:

- السـيدةُ المديـرةُ حكَـتْ قصـةً لـوْ صَحَّـتْ لوجَـبَ القبـضُ عـلى ابنتِـكَ.

بابتسامةٍ ساخرةٍ قالَ:

- خَـيْرٌ يَـا أسـتاذةُ! مـاذا قلـتِ عـن ابنتِـي مِـنْ مصائِبَ تسـتدعِي القبـضَ عليهَا؟

بنبرةٍ غاضبةٍ قالتِ المديرةُ:

- أنَـا لا أسـمحُ بالسـخريةِ منِّـي ومِنْ كلامِـي، وما قلتُهُ يـردِّدُهُ كُلُّ المعلمـينَ. واصلتْ بوجْـهٍ عَبُوسٍ:

- لعلَّـكَ علِمْـتَ بخـبرِ مَـوْتِ الأسـتاذِ أحمـد مـدرسِ العلـومِ موتًا مفاجِئًـا مِنْ شَـهْرَيْنْ.

- رَحِمَهُ اللهُ، علمتُ من ابنتِي بموتِهِ.

بسرعَةِ مُحقِّقٍ عندما يباغتُ مُتهَما سألَ اللواءُ:

-هـلْ كنـتَ عَـلى عِلـمٍ بقصـةِ الأسـتاذِ أحمدَ، وسـببِ موتِـهِ؟ هلْ قالـتْ لـكَ ابنتُـكَ عَـمَّا دارَ بينَهُـمَا قبـلَ موتِهِ بيـومٍ واحدٍ؟

بدهشـةٍ واسـتغرابٍ مـن سرعـةِ تحـوُّلِ الحديـثِ إلى مـا يُشـبِهُ التحقيـقَ رَدَّ الدكتـور:

- لا، لا أعلـمُ شـيئًا، لا أعلـمُ غـيرَ معلومـةٍ عاديـةٍ قيلـتْ لي ذاتَ مسـاءٍ إنَّ مدرسَـهَا مـاتَ. وعـلى مَا أذكـرُ أنَّ ابنتِـي لَمْ تكـنْ تحبُّهُ، أو هُـوَ لا يُحِبُّهَـا، لا أعـرفُ، لكـنْ هِـيَ كانـتْ مُرتاحَـةً لموتِهِ، كأيَّـةِ طفلةٍ لا تـدرِكُ جـلالَ الموتِ، ولم أسـألها عَنْ سـببِ ضيقِهَا مِنـهُ، والتفتَ إلى مُديرةِ المدرسـةِ متسـائِلًا:

Baffanâlîlî PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

- ما علاقةُ ابنتِي بموتِ مُعلِّمِهَا؟

باضطرابٍ واضحٍ وتلعثمٍ قالتِ المُديرةُ:

- نحـنُ لا نتهِمُهَـا بشَيء، لكـنَّ المعلمينَ يقولونَ إنَّـه ماتَ في اليومِ الثـاني لمعاقبتِـه ابنتَـكَ في الفصـلِ؛ فقـدْ دارَ نِقاشٌ حولَ عُلـومِ الفضاءِ بـينَ الأسـتاذِ أحمـدَ وابنتِـكَ؛ فهِـيَ تُشـاهِدُ فيديوهـاتٍ عـلى شـبكة الانترنـت، وتـردِّدُ مـا تسـمَعُهُ مـن خُزعبـلاتٍ بـينَ الطالبـاتِ، فتـارةً تـردِّدُ أنَّ الأرضَ مُسَـطَّحَةٌ وليسَـت كُرويـَة. وتـارةً تجعَـلُ في السَّـماءِ كائنـاتٍ تعطينَـا طاقةً شِـبهَ كهربائيةٍ قـادرةً علَى التدميرِ، وتـارةً تُردِّدُ خُزعبـلاتٍ لا عَلاقـَةَ لَهَـا بالمَنْهَـجِ الـدرَاسِيِّ، وكثـيرا مـا طالبَهـا المعلـمُ أن تكـفَّ عـن ذلـكَ دوْنَ جـدوى، فعاقبَهَـا الأسـتاذُ أحمـدُ وجعلَهَـا تقِـفُ ووجهُهَـا للسـبورةِ طـوالَ الحِصَّـةِ. وكـَما عَلِمْـتُ مـن زميلاتِهَـا وأنـا أبحـثُ الموضـوعَ أنَّهـا كَانَـتْ طـوالَ وقفتِهَـا تتمتِمُ بكلـماتٍ غيرِ مفهومـةٍ وتنهنِـهُ بأصـواتٍ تشـبِهُ البـكاءَ دُونَ دُمـوعٍ، وبعـدَ انتهـاءِ الحصـةِ انهـارتْ في بُـكاءٍ طـوالَ اليـومِ. وقَـدْ تحدَّثْـتُ إليهَـا؛ لأطيِّـبَ خاطِرَهَـا، أو لأجعلَهَـا تتوقَّـفُ عَـنِ البـكاءِ دون جَـدوى. وغـادرتْ المدرسـَة وهي بهذهِ الحالةِ. وتغيَّبَتْ في اليومِ التاليْ. وَهُوَ اليَومُ نفسُـه الـذي جـاءَ فيـهِ نبأُ موتِ الأسـتاذِ أحمـدَ فجـرًا، فتلهَّينَا في خـبرِ موتِهِ،

وذهـبَ وفـدٌ لتقديـمِ واجبِ العـزاءِ، ورجـعَ الوفدُ وهـوَ يحمِلُ قصةً غامضـةً عَـنْ موتِـهِ، مُلخَّصُهَـا أنَّ ابنتَكَ هِيَ سـببُ موتِهِ، وقدْ سـاورَنَا الشـكُّ عندمَـا تغيَّبَـتِ ابنتُكَ يـومَ موتِهِ وثلاثـةَ أيامٍ مُتتاليـةٍ، لا نعرفُ إنْ كانـتْ حِـدادًا عـلى مُعلمِهَـا أمْ هربًا من تحمُّلِ المسـؤوليةِ.

هُنَا لمْ يتحمَّلِ الدكتور الكلامَ وقالَ غاضِبًا:

- أيَّـةَ مَسـؤوليةٍ؟ أشـعُرُ أننِـي في غـيرِ وعيـيّ، أمعقـولٌ أنْ يكـونَ هـذا الحـوارُ بـينَ صفـوةِ مُجتمَـعٍ؟ لـواءٍ ومحـامٍ كبـيرٍ وإعلاميٍّ شـهيرٍ وعـالمٍ بالديـنِ ومديـرةِ مدرسـةٍ ورئيـسِ قسـمٍ بالجامعـةِ؟ هـلْ يُعْقَلُ أن نُـردِّدَ كلامًـا خطـيراً يَصِـلُ إلى حَدِّ الاتهـامِ بالقتلِ؛ لمُجردِ مناوشـاتٍ بـينَ بنـاتٍ جميعُهُـنَّ دونَ الرابعـةَ عـشرةَ مـن عُمُرِهِـنْ؟ مـا هـذا؟ أينَ أنا؟

هُنَا طلبَ الشيخُ عطيةُ الكلمةَ، فقالَ:

- إنَّ الأمـرَ في جميـعِ الأحـوالِ تَعقَّـد، ولمْ يَعُـدْ في صالِـحِ ابنتَـكَ أو بناتِنَـا أنْ يبقَـيْنَ مَعًـا في مدرسـةٍ واحـدةٍ، وليـسَ الحَـلُّ المنطقـيُّ أنْ ننقِـلَ أربَـعَ بنـاتٍ. وهناكَ بنـاتٌ غيرُهُـنَّ كثـيراتٌ يُؤمِنَّ بخطـورةِ عينِ ابنتِـكَ، بَـلْ هُنـاكَ معلمـونَ وموظفُـو إدارةِ المدرسـةِ يخافـونَ منهَـا،

Baffanahi PUBLISHING HOUSE
هذه غير مخصصة للطباعة

فالحَلُّ بَسيطٌ، أنْ تنقِلَ ابنتَكَ مِنَ المدرسةِ إلى مدرسةٍ أُخرى. وبنبرةِ ناصحٍ هامسٍ أردفَ الشيخُ قائلًا:

- إنْ قبِلْتَ نَصيحتي ليتَك تنقِلُهَا إلى مدينةٍ أخرى؛ لتختَفِيَ مَعَهَا قصةُ عينيهَا المُدمِّرَةِ. وهُنا قاطعَتْهُ مديرةُ المدرسةِ مُوجهةً كلامَهَا للدكتور:

- أنَا دورِي أنْ أحافظَ على ثلاثمئةِ فتاةٍ في المدرسةِ مِنَ المخاوفِ والأمراضِ النفسيةِ. وحتى لوِ فَرضْنَا أنَّ مَا يَحدُثُ مجردُ شائعةٍ فقدِ انتشرَتِ الشائعةُ في كُلِّ المدرسَةِ، ولا قدرةَ لنا على تصحيحِهَا، فالحَلُّ الأمثلُ هُوَ سَحْبُ مَلفِ ابنتِكَ ونقلُهَا إلى مدرسةٍ أخرى.

-هذا كلامٌ فارغٌ ومرفوضٌ جملةً وتفصيلًا، وابنتِي لنْ أنقِلَهَا مِنَ المدرسةِ. وسوفَ أتوجَّهُ بشكوَى للقضاءِ ضِدَّ أيِّ شَخصٍ يتنمَّرُ بابنتِي ويؤذيهَا بجَهلٍ ويُردِّدُ عنهَا الخُرافاتِ، أيًا كانَ، طَالبًا أو مُعلمًا، ولَفَّ الحُجرةَ بعينيهِ مُهدِّدًا، أوْ وليَّ أمرٍ.

هُنَا وَقَفَ المستشارُ واللواءُ رافضينَ وقالَ المستشارُ في غَضَبٍ:

- طالمَا أنتَ تهددُ باللجوءِ إلى القضاءِ، أنَا سأتوجَّهُ مَعَ اللواءَ عمر؛ لتحريرِ بلاغٍ ضدَ ابنتِكَ في ديوان رئاسة الشرطةِ في المدينة، ولْنجعلِ القانونَ يأخذُ مجرَاهْ.

Battandalu PUBLISHING HOUSE

- فَلْيَكُنْ ما يَكونُ، أنَا أثقُ بالقضاءِ في بلدي، والقانونُ هُوَ الفيصَلُ، قضيتُكُمْ خاسِرَةٌ، بَلْ لا قضيةَ مِنَ الأساسِ، هَلْ تَبنُونَ اتهامًا على زعمٍ وخُرافةٍ؟ اذهبُوا إلى مَنْ تَشاؤونْ. وأنَا سأقاضِي مَنْ يَمَسَّ سُمعَةَ ابنتِي أوْ يتنمَّرُ بِهَا أو يُؤذيهَا. وانصرفَ غاضبًا.

أثناءَ مرورِهِ بالطُرقةِ ذاتِهَا رأى لافتاتِ الإرشادِ النفسيِّ المعلقةَ (الإخصائِيُّ النفسيُّ صديقُكَ فَبُحْ لَهُ بِمُشكلاتِكَ)، (مدرستُنَا تُطَبِّقُ معاييرَ الجودةِ)، (لا تُصدِّقِ الخُرافاتِ والشائعاتِ)، فشعر بالضيق وهو يعبُرُ الطُرقةَ إلى خارجِ المدرسةِ.

استقلَّ سيارتَهُ. وانطلَقَ غَاضِبًا إلى بيتِهِ بينَمَا رَكِبَ أولياءُ أمورِ الطالباتِ الأربعةِ سياراتهم، وانطلقُوا معا إلى ديوان رئاسة الشرطةِ؛ لتحريرِ بلاغٍ ضدَّ الطالبةِ.

بمكتبِ لواءِ الشرطةِ انبرَى المحامِّي الشهيرُ لتحريرِ البلاغِ وِفقًا لموادِ القانونِ التي يحفظُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلبٍ، وتوجهوا إلى النيابةِ، وتَمَّ أخذُ أقوالِ الأربعةِ وذكرَ الأربعةُ "أنَّهُمْ أولياءُ أمورِ طالباتٍ يتعرَّضْنَ إلى خطرٍ حقيقيٍّ من طالبةٍ تُدعَى خضراء طاهر تبلغُ مِنَ العُمُرِ أربعةَ عشَرَ عامًا، تمتلِكُ طاقةً غيرَ طبيعيةٍ، تضُرُّ بِهَا الطالباتِ في ملابسِهِنَّ وحقائبِهِنَّ وصحتِهِنَّ وتستطيعُ أنْ تقتُلَ مَنْ تغضَبُ منهُ

Bahaaiii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وطالبُوا بفتحِ التحقيقِ في وفاةِ المعلمِ أحمد المشـكوكِ في قتلِهِ بعينَي الطالبـةِ، وأنهُـمْ يخشَـونَ عـلى بناتِهِـنَّ مِـنَ القتـلِ؛ لِـما بينَهُـنَّ وبـينَ الطالبـةِ مِنْ مشـكلاتٍ، وقدْ طالبَ الشَّـاكُونَ في بلاغِهِـم بنقلِ الطالبةِ مِـنَ المدرسـةِ حِرصًا على بناتِهِـنَّ، وطالبوا أخذَ التعهُّـدِ اللازمِ على وليِّ أمرِهَـا بعـدمِ تعريـضِ حيـاةِ بناتِهِنَّ للخطر ومسـؤوليتِهِ عَـنْ ذلكَ إنْ حـدثَ للبنـاتِ مَكـروهٌ، مطالبينَ بالبَـدءِ في التحقيقاتِ بأقـصَى سرعَةٍ، حفاظًـا عـلى حيـاة بناتِهِنْ؛ إذِ السـاعةُ التـي تَمرُّ ليسَـتْ في صالحِهِنَّ".

تـم لهـم مـا أرادوا، وتأكَّـدُوا مِـنَ صـدورِ أمـرٍ للشرطةِ باسـتدعاء الفتـاةِ لبـدءِ التحقيـقِ في الواقعـةِ في التاسـعةِ صبـاحَ الغـدِ.

خرجـوا مـن مبني النيابـةِ وتوجهوا معا لمكتبِ اللـواءِ القريبِ من النيابـةِ ليحتسـوا القهـوةَ، اقترحَ عليهـم الإعلامي تامر شـوباش إعدادَ حلقـةٍ حواريـةٍ مُوَسَّـعَةٍ من برنامجِهِ لمسـاءِ الغـدِ، تكونُ حـولَ الفتاةِ الخارقـةِ للطبيعـةِ، وخطورتِهَـا، وذلـكَ؛ لتهيئـةِ الـرأيِ العامِ لاسـتقبالِ الموضـوعِ مـنْ جهـةٍ، ومِـنْ جهةٍ أخـرَى للضغطِ على جهـاتِ التحقيقِ لسرعـةِ البـتِ في شـأنِ هـذهِ الطالبـةِ، واقـترحَ الإعلامـيُّ اسـتضافةَ زملائِـهِ الثلاثـةِ كأوليـاءِ أمـورٍ متضرريـن، وفي الوقـتِ نفسِـهِ يغطـونَ جوانـبَ قانونيـةً ودينيـةً وأمنيـةً حسـبَ طبيعـةِ عملِهِـمْ، كـما يُمكنُ اسـتضافةُ عـالمٍ مِـنَ المتخصصـينَ في علـمِ نفـسِ الخـوارقِ الطبيعةِ.

وافقَ الجميعُ على فكرةِ حلقةِ البرنامجِ، فاتصلَّ الإعلاميُّ برئيسِ القناةِ ومجموعةِ الإعدادِ وأفهمَهُمُ الفكرةَ وأعطاهُمُ المحتَوى ورقمَ المذكرةِ الموجودةِ بالنيابةِ وبعضَ أرقامِ الهواتفِ، وطلبَ إعدادَ تنويهاتٍ إعلانيةً عاجلةً عَنِ الحلقةِ تُسهِمُ في رفعِ نسبة المشاهدةِ والإعلاناتِ، فالقصةُ واقعيةٌ لكنَّهَا أغربُ مِنَ الخيالِ، واقترحَ الإعلاميُّ اسما لعالمٍ في علم نفس الطبيعةِ والخوارقِ، مَشهورٌ عنهُ اهتمامه بالخوارقِ الطبيعيةِ ووجودِها والاهتمامِ بتفسيرِهَا.

أمَّا اللواءُ عمر نصر فقدْ اتصل هاتفيًا برئيسَ إدارةِ الأمنِ العامِ في وزارة الشرطة، وبعدَ التحيَّاتِ التقليديةِ قالَ بثقةِ مَنْ يـُقَدِّمُ مَعروفًا لمتَضَرِّرٍ:

- لديَّ قُنبلةٌ إعلاميةٌ ستضرِبُ مظاهراتِ الطلابِ بعدَ الغدِ في مقتَلٍ. ولنْ يكونُ للناسِ حديثٌ غيرُهَا، وستظلُّ القنواتُ أُسبوعًا تتحدَّثُ عنهَا، نعمْ، نعمْ، فتاةٌ تفعلُ أمورًا خارقةً للطبيعةِ، مَا إنْ تغضَبُ مِنْ أحدٍ وتضعُهُ في بؤرةِ اهتمامِهَا حتي يَموت، وقدْ قتلَتْ مُعلِّمَهَا في المدرسةِ، نعمْ، نعمْ، لديَّ مُذَكَّرةٌ في النيابةِ بتاريخِ اليوم، تمامْ، لقدْ جرَى التنسيقُ مَعَ الإعلاميِّ الكبيرِ تامر شوباش؛ لإعدادِ حلقةٍ حواريةٍ تستمِرُّ ساعتين غدًا من السابعة مساء حتى السابعة، الحلقةُ سيكونُ

Battanäili
نسخة غير مخصصة للطباعة

لهَا أثرٌ كبيرٌ علَى المشاهدينْ، فالناسُ كمَا تعلمُ سيادتُكُمْ تهتَمُّ بأمورِ الغرائبِ مِنَ الحوادثِ أكثرَ مِنْ أيِّ شيءْ.

هُنَا قالَ الشيخُ:

- أمَا أنَا فسأعدُّ الرأيَ الدينِيَّ حولَ الخوارقِ والغرائبِ الطبيعيةِ بالتطبيقِ علَى مأساةِ بناتِنَا مَعَ هذهِ الفتاةِ المَسكونةِ بالشرِّ. اللَّهُمَّ احفظْنَا مِنهَا ومِنْ شرُورِهَا.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

الفصل الثّالث

مساءٌ متوتِّرٌ في شقةِ الدكتور طاهر، ينفثُ غضبَهُ أنفاسًا لافحةً وهوَ يُحرِّكُ رجليهِ بتوترٍ أثناءَ جلوسِهِ علَى مقعَدٍ بالصالةِ، وجهازُ التلفازِ يبثُّ تقاريرَهُ الرسمية عَنْ مظاهراتِ الغدِ، مستنكرا قيام هذهِ القلةِ المندسَّةِ من الطلاب بالمزايدةِ علَى الموقفِ الرسميِّ للدولةِ، من الدولةِ المجاورةِ، وتصِفُ الحكومةَ بالتراخِي في اتخاذِ إجراءاتٍ رادعةٍ ضِدَّ الدولةِ المجاورةِ التي تحتلُّ جزءً من أرضِ الوطنِ وتنتهكُ حقوقَ الإنسانِ في بيئةٍ صحيةٍ وآمنةٍ، بمصانعها التي تبث غازاتها الملوثة على الحدود وتهدِّدُ صحَّةَ المواطنينَ في المدنِ الحدوديةِ بأمراضِ السرطانِ وغيرِهَا.

يتلاشَى في أذُنِه صوتُ التلفاز فلا يسمعُهُ من كثرةِ ما قَذَفَتْ بِهِ جِلسَةُ اليومِ في المدرسَةِ مِنْ هُمومٍ، ينظرُ إلى زوجتِهِ وابنتِهِ بعينٍ لائمةٍ تارةً وبعينٍ غاضبةٍ تارةً أخرَى وأخيرًا انفجَرَ:

- كانَ ينبغِي أنْ أعلَمَ مِنكِ ما تَمَّ، وليسَ من أولياءِ الأمورِ، وفي وقتِهَا وليس بعدَ شهرينِ من الواقعة، ونظرَ إلى زوجتِهِ بحدَّةٍ متسائلا:

- ما الذي تعرفينَهُ عنْ مَوتِ الأستاذِ أحمد؟

بِلا مُبالاةٍ قالتْ صفاءُ:

- ما شأنُنَا بِهِ؟ مدرِسٌ ماتَ في بيتِهِ فجرًا، هَلْ ذهبْنَا إليهِ وقتلنَاهُ؟ كُلُّ مَا أتذَكَّرُهُ أنَّ ابنتَنَا رجعَتْ مِنَ المدرسةِ قبلَ موتِهِ بيومٍ باكيةً، حاَولتُ كثيرًا تَهدِئَتَهَا دونَ جدوَى، يبدو أنَّ المعلمَ كانَ قاسيًا عليهَا، كَما علمْتُ مِنهَا، فقدْ أهانَهَا أمامَ زميلاتِهَا بِشِدَّةٍ، وطوالَ الليلةِ كنتُ أتردَّدُ عليهَا في غرفتِهَا، أجدُهَا تضعُ صورةَ المعلمِ المنشورةَ على صفحتِهِ على مواقعِ التواصلِ الإلكترونيةِ أمامَهَا، وتكبِّرُهَا حتى تصلَ إلى تفاصيلَ دقيقةٍ في عينيهِ وشعرِهِ ووجهِهِ بشكلٍ عامٍ، وتُحَمْلِقُ في الصورةِ حتَّى إنَّهَا لا تشعُرُ بِي أثناءَ دخولِي وخروجِي، وأنَا تَدورُ الظُّنونُ في رأسِي؛ فبكاؤُهَا كانَ أكبرَ مِنْ

قصـةِ معلـمٍ أهـانَ طالبَتَـهُ، وتكبيرُهَا لصورتِـهِ وحَمْلقتُهَا المسـتمرَّةُ في الصـورةِ أثـارَا قلقِي أكـثَرَ، فكيفَ لغاضبةٍ مِنْ شـخصٍ أنْ تكـبِّرَ صورَتَهُ وتُحَمْلِـقَ فيهَـا بِهذا الشـكلِ؟ فقـرَّرْتُ أنْ أذهبَ مَعَهَـا في اليومِ التالي إلى المدرسـةِ؛ لأتحقَّـقَ مـما حَـدثَ، ومَـاذا جـرَى بـينَ ابنتِـي والمعلـمِ؛ لتعيـشَ الأزمـةَ بِهـذا الشـكلِ، وفي موعـدِ المدرسـةِ الصباحـيِّ دخلـتُ عليهَـا. ووجدتُهَـا لمْ تنَـمْ مِـنَ البارحـةِ وعينَاهَـا حمـراوانِ مثـلَ الشَّرَرِ مِـنَ السَّـهَرِ والبُكَاءِ، فأشـفقتُ عليهَـا مِنَ الذَّهَابِ إلى مَدرسـتِهَا وهِيَ بِهـذهِ الحالـةِ مِـنَ التَّعَـبِ، أعـدَدْتُ لهَـا كُـوبَ لـبنٍ وإفطـارًا بسـيطًا، وطلبْـتُ مِنهَـا النـومَ وعَـدَمَ الذَّهـابِ إلى المدرسـةِ هذا اليـوم، وقلتُ: سَـوفَ أذهَـبُ معَهَـا في الغـدِ، فاسـتجَابَتْ ونامَـتْ، وبعْـدَ الظُّهـرِ في موعـدِ عـودةِ سـيارةِ المَدرسـةِ جـاءتْ زميلتُهَـا مريـمُ، التـي تسـكُنُ في المبنـي المجـاور وتـدرِسُ معَهَـا في الفصـلِ نفسِـهِ، ونقلَـتْ لهـا خبرَ مـوتِ المُعلّـمِ أحمـدَ، وكيـفَ أنَّ المَدرسـةَ مَقلوبـةٌ رأسًـا عـلى عَقِـبٍ، نادتْنـي ابنتـي بِصـوتٍ عالٍ:

- أمِّي أمِّي لَقَدْ مَاتَ، لَقَدْ مَاتَ.

- مَنْ؟ مَنْ؟ سألتُها في هلعٍ.

- رَبُّنَا استجابَ وانتقمَ لِي مِنه، رَبُّنَا استجابَ وانتقمَ لِي مِنه.

Bahlanaili PUBLISHING HOUSE

- مَن؟ صَرخْتُ في غضَبٍ.

- المدرسُ أحمد يا أمِّي.

- اللهُ يرحَمُهْ، تعجَّبْتُ مِنْ سلوكِ ابنتِنَا الوادعةِ، قلتُ لهَا:

- عَيبٌ، لا شماتةَ في الموتِ، قولي اللهُم ارحَمْهُ، فسكَتَتْ، فنَهَرْتُهَا. قولِي اللهُم ارحَمْهُ، فانهارَتْ في بُكاءٍ شديدٍ مرةً أخرَى.

استأذنَتْ صديقَتُهَا في الانصرافِ، فخرجتُ مَعَهَا؛ لأوصِلَهَا إلى البابِ. قالَتْ زميلتُهَا جَملَةً لا أنسَاهَا؛ إذْ قالَتْ "أنَا بدَأتُ أخافُ مِنْ خضراءَ، بَلْ بَدَأتُ أُصَدِّقُ مَا يُقَالُ عَنْهَا فِي المَدْرَسَةِ".

بقلقِ أمٍ جَفَّتْ دمائِي مِنْ كلماتِ صديقةِ ابنتِي، قُلتُ لَهَا:

- تعالَي يا ابنتِي قُصِّي عليَّ ما يُقالُ عَنِ ابنتِي في المَدرسةِ، كانَ قلبِي يكادُ ينقبضُ ولا يَنبسطُ مِنَ الخوفِ؛ فبكاءُ ابنتِي مِنَ المُعلِّمِ بالأمسِ غيرُ طبيعِيٍّ، ووضعُهَا صورتَهُ طوالَ الليلةِ علَى الشاشةِ، والتمتمةُ غيرُ المسموعةِ يجعلُ أيَّةَ أمٍ لديهَا بنتٌ علَى وشْكِ المُراهقَةِ تَموتُ في جلدِهَا، قالتِ البنتُ:

- إنَّ زميلاتِنَا في الفصلِ مِنْ فَترةٍ طويلةٍ يردِّدْنَ أنَّ عينَيهَا مُدّمِّرَةٌ، تارةً يَقُلْنَ عَنهَا شَديدةُ الحسَدِ. وتارةً يَقُلْنَ: إنَّ عينيها

Bahlandilli
نسخة غير مخصصة للطباعة

مسـكونتانِ بالشـياطينِ، أو بِهَـا طاقـةٌ غريبـةٌ، حَسْـبَ كلامِ البنـتِ "رقيَّـةْ الشـقيَّةْ". هكـذا نُسـمّيهَا في الفصـلِ، وعندَمَـا جـاءَ خَـبرُ مـوتِ المُعلّـمِ سَـاورَ الجميـعَ شَـكٌّ في عَينيهـا، لخلافِهِـما أمـس، وسرَى الخـبرُ في المَدرسـةِ، وانتابَـتِ الفصـلَ حالـةٌ مِـنَ الرُّعـبِ، وحـضَرَتْ مديـرةُ المدرسـةِ والإخصائيـةُ التربويـةُ والإخصائيـةُ النفسـيةُ وقضـين اليـوم كامـلاً مَـعَ الفصـلِ، وطلـبن مِنَّـا الصَّمـتَ، والتعامُـلَ العـادِي مَـعَ خـضراءَ؛ فـكُلُّ مـا تقولُـهُ البنـاتُ كلامٌ فـارغٌ وهبـلُ أطفـالٍ، لا يجِـبُ أنْ نـردِّدَهُ، وانقسَـمَ الفصـلُ بـينَ مؤيـدٍ لهَـذا الـكلامِ مُـبرِّئٍ لهـا، ومُعـارضٍ يراهَـا مَسـكونةً بـروحٍ شريـرةٍ أوْ أنَّ عينيهَـا شـديدةُ الحسـدِ، أو بِهَـا قـوةٌ غامضـةٌ.

قالَـتِ البنـتُ مَـا عِندَهَـا وانصرَفَـتْ، وَعُـدْتُ إلَى ابنتـي بحجرتِهَـا فوجَدْتُهَـا تبـكي بِحُرقَـةٍ بُـكَاءً لا أعـرِفُ لَهُ سَـبَبًا، هَلْ هُوَ لومٌ لنفسِـهَا عـلى دُعائِهَـا عليـهِ طوالَ الليـلِ وصورتُهُ مَفرودةٌ أمامَهَا علَى الشاشـةِ، أمْ بـكاءُ الحـزنِ عليـهِ؟ خاصَـةً أنَّـهُ المعلِّمُ الوحيـدُ الذي كَانَ يناقِشُـهَا فِي خيالاتِهَـا العلميـةِ المُستقاةِ مـن أفـلامِ الخيـالِ العلمِـيِّ وأفـلامِ الرُّعِـب وأفـلامِ عـالمِ الفضـاءِ، رافضًـا مـا تهـواهُ، ظللتُ أقلِّـبُ الأمرَ في رأسي، أسـألُ عَـنْ سـببِ بكائِهَـا وهـي لا تُجيبُ.

تَغيَّبَت يومينِ مِنْ شِـدَّةِ التعبِ والبُكاءِ، وفي اليـومِ الثالثِ ذهَبَتْ إلَى المدرسـةِ، وكانَـت تُحدِّثُنـي مِـنْ آنٍ لآخرَ عَنْ مُشـاجراتِ الطالباتِ الأربعـةِ الدائمـةِ مَعَهَـا، وأنَـا أقـولُ لنفـسي: بسـيطةٌ، إنَّهـا مُشـاجراتٌ عاديَّـةٌ، حتَّـى وصَلَ خطابُ اسـتدعائِكَ إلَى المَدرسَـةِ.

انتبـه لشَريـطِ الأخبـارِ عـلَى شاشـةِ التلفازِ يُعلِـنُ عَنْ إلقـاءِ قُواتِ الأمـنِ القبـضَ عـلَى عـددٍ مِـنَ الداعـينَ إلَى مُظاهـراتِ بعـدَ الغَـدِ، والمُتحدِّثَـانِ الرسـميانِ باسـمِ وزارتي الخارجيـةِ والبيئـةِ يعلنـانِ أنَّ موقِـفَ الدولةِ واضِحٌ تِجـاهَ احتلال الأرض وتلوُّثِ البيئةِ فِي محافظاتِ الحـدودِ، وأنَّهـا لم تقـصْر في تصعيـدِ الموضـوعِ فِي المُنظَّـماتِ الدوليـةِ.

دَقَّ هاتُـف البيـتِ، كانَ عـلَى الطـرفِ الآخـرِ مُعِـدُّ برنامـجَ "قضيةُ السـاعةِ" بقنـاةِ المسـتقبلِ الفضائيـةِ، يخـبرُ الدكتـور أنَّـه قـد تحررت مذكـرةٌ فِي النيابـةِ مـن أربعـةِ أوليـاءِ أمـورٍ، يتَّهِمـونَ ابنتَـهَ بقتـلِ مُعلِّمِهَـا بِقدراتِهَـا الخارقـةِ للطبيعةِ، وأنَّ الفتياتِ فِي المدرسـةِ يَعِشْـنَ حالـةَ رُعْـبٍ مـنْ ابنتِـهِ، وأنَّ البرنامجَ يُعِدُّ حلقةً لسـاعتينِ في السـابعة مسـاءَ الغَـدِ حـولَ هـذا الموضوعِ.

قَاطَعَهُ في حدة:

- برنامجُكُمْ هو استمرارٌ لمسلسلِ التنمُّرِ الذي يجرِي مَعَ ابنتِي، هذا اغتيالٌ مَعنويٌّ لطفلةٍ بتخويفِ المجتمعِ مِنْهَا، كيفَ ستعيشُ ابنتِي بعد وصمِهَا بهذهِ الاتهامات؟ لابُدَّ للإعلامِ أنْ يلعَبَ دَوْرًا رشيدًا لا أنْ يهدِمَ حياةَ الناسِ.

هُنَا قَاطعَهُ المُعِدُّ بنبرةِ الواثِقِ مِنْ حديثِهِ:

- يَا سيِّدِي كَمَا قلتُ لَكَ: المَوضُوعُ مُثَارٌ أمامَ النيابةِ بمحضرِ تحقيقٍ رَسمِيٍّ، وبالتالِي فالإعلامُ لَمْ يَختلِقْ القضيةَ، الإعلامُ يغطِّي مُجرياتِ قضيةٍ قائمةٍ فعلًا، وتَهُمُّ المُواطنِينَ، وإنْ كانَتِ ابنتُكَ تُمثِّلُ خَطرًا حقيقيًّا فعلينا أنْ نُحذِّرَ الناسَ، وعلَى كُلِّ حالٍ سيتحدَّثُ فِي الحلقةِ رجلُ دينٍ مرموقٍ، ولواءُ أمنٍ، ومُحامٍ كبيرٌ شهيرٌ...

- أنا أعرِفُ أسماءَهُمْ فهُمْ مُقَدِّمُو الشكوَى.

- هذا حقُّهُم يا دكتور، فهُمْ طَرَفٌ فِي الحلقَةِ. وأنتَ وابنتُكَ طرفٌ ثانٍ، ونحنُ علَى الحِيادِ.

- لستُمْ علَى الحِيادِ؛ فمُقَدِّمُ البرنامجِ أحدُ الشاكينْ.

- سيَحْسِمُ الخلافَ بينكُمْ عَالِمٌ مُتخصِصٌ فِي علمِ نفْسِ خوارقِ الطبيعةِ؛ وسَوفَ نتَّصِلُ بالمُمَثِّلِ الإعلامِيِّ لوزارةِ التعليمِ، وكذلِكَ

بعـضِ الطالبـاتِ والمُعلمّـينَ أثنـاءَ الحلقـةِ، فنأمَـلُ أنْ تكـونَ مَعَنَـا فِي الاسـتديُو مِـنَ السادسـة والنصـف، لَـوْ تكرَّمْـتَ علينَا.

- عُمومًـا سـأدرِسُ موقفِـي وأتّصِلُ بِـكَ صباحَ الغَدِ، فـَما زِلتُ عِندَ رأيِـي أنَّ الحلقةَ سـتُكُونُ أكبَرَ اغتيـالٍ معنوِيٍّ لابنتِي.

انتهَـتِ المُكالَمَـةُ. ولاحَظَـتِ الزوجَـةُ الإجهادَ الواضحَ عـلَى زوجِهَا، جلـسَ مُنْهكًا علَى الكـرسِيِّ قُبالَـة التليفزيونْ.

كانَ تقريـرٌ تلفـازيٌّ يتحـدَّثُ عَـنْ جهـودِ الدولـةِ فِي حمايـةِ البيئةِ والطبيعـةِ فِي مُحافظـاتِ الحـدودِ. قطَـعَ التقريرَ فاصلٌ إعـلانِيٌّ يطلُبُ مِـنَ المُشـاهدِينَ مُشـاهدةَ أخطرِ حَلقةٍ عَـنْ إحْدَى خـوارقِ الطبيعةِ، كيـفَ قتلَـتْ طفلةٌ أسـتاذَهَا بنظرتِهَـا الخارقةِ؟ وكيـفَ أصبحَتْ تهدِّدُ زميلاتِهَـا بِالقتـلِ إذا اختلفْـنَ مَعَهَـا؟ مَعَ لقـاءاتٍ مَعَ الطفلـةِ ووالدِهَا ورجـالِ ديـنٍ وقانـونٍ وأمـنٍ وعلـماءِ نفـسٍ وطبيعـةٍ ومسـؤولينَ عَـنِ التعليـمِ فِي السـابعة مسـاءَ الغدِ.

استشـاطَ الدكتـور غضبًـا، وأجـرَى عـدَّةَ اتصـالاتٍ مَـعَ محاميـهِ؛ ليرفَـعَ دعـوَى قضائيـةٍ ضِـدَّ القنـاةِ وضِـدَّ مُقدِّمِـي البـلاغِ وأقسـمَ

Bahaaeldin PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

ألا يـُتركَ حـقَّ ابنتِـهِ، واصِفًـا مَـا يحـدُثُ بأنَّـهُ تدمـيرٌ لحياتِهَـا ومسـتقبلِهَا، بَـلْ هـوُ اغتيـالٌ مَعنَـوِيٌّ، وقـدْ يتطـوَّرُ الأمـرُ إلَى اغتيـالٍ جسـدِيٍّ لابنتِـهِ مـن أحـدِ الموتوريـنَ الذيـن قـدْ يظنُّـونَ أنَّ ابنتَـهُ أوقَعَـتْ أوْ سُـتُوقِعُ الأذَى بِـهِ بينـمَا اتصَّلَـتِ الأمُّ بزملائِهـا الإعلاميـينَ طالبـةً رقَـمَ هاتـفِ وزيـرِ الإعـلامِ؛ ليوقِـفَ البرنامـجَ الـذي سـيدمِّرُ ابنتَهـا. وناشَـدَتْ زملاءَهـا الوقـوفَ مَعَهَـا ضِـدَّ مَـا سـيفعُلُهُ تامـر شـوباشُ في حلقتِـه المُذاعَـةِ غـدًا.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

الفصل الرّابع

فِي العـاشرةِ مَسـاءً وصلَـتْ سـيارةٌ يبـدُو مِـنْ هيأتِهَـا أنَّهَـا سـيّارةٌ حكوميـةٌ إلى بيـتِ الدكتـور، نـزلَ منهَـا ثلاثةٌ يلبَسُـونَ ملابِـسَ مَدَنيةً مُوحَّـدةً، صعـدُوا السُّـلمَ بنشـاطٍ، دَقَّ الجـرسُ مرتـينِ، فتـحَ الدكتـور البـابَ، اندهـشَ مِـنَ سرعـةِ تطـوّرِ الأحـداثِ، قـالَ مواجِهًـا الثلاثـةَ:

- معقولٌ تتَمُّ الإجراءاتُ بهذهِ السرعَةِ؟ عمومًا خيراً فعلتُمْ؛ فأنَا أيضًا عندِي بلاغٌ ضِدَّ الشاكينَ. أتَّهِمُهُمْ فيهِ بالتنمُّرْ.

قـالَ أحدُهُـمْ وكانَ الأكـبَرَ سـنًا ويبـدُو أنَّهُ يـرأسُ الاثنـينِ لتهدئته:

- ليسَ هذا وقتَهُ، هلْ علِمتَ أنَّ هناكَ استدعاءً رسميًا لابنتِكَ إلَى النيابةِ للتحقيقِ معها فِي التاسعَةِ صباحَ الغَدِ فِي بَلاغٍ مُقَدَّمٍ ضدَّها؟

قاطعَهُ في أسى:

- علِمتُ بِهِ مِنْ مُعِدِّ برنامجِ (قضيةُ الساعةِ) الذي سيقدِّمُ حلقةً مَساءَ الغَدِ، وأؤكِدُ أنَّ مَا يحدُثُ اغتيالٌ معنوِيٌّ لابنتِي، ولنْ أسكُتَ.

قاطعَهُ أحدُهُمْ:

- أظنُّ أنَّ الكلامَ الآنَ ليسَ وقتَهُ، ونرجُو أنْ ترتَدِيَ ملابسَهَا، وأنتْ سترافقها ومعك وثيقة سفر مثبت بها اسم نجلتكم فهي لا تحوز بطاقة هوية بعد.

- يَا سيِّدِي مَا قدَّمَهُ الشَاكُونَ لا يزيدُ عَنْ كونِهِ بَلاغًا إداريًا، وسَوفَ أتَوجَّهُ إلى النيابةِ صباحَ الغَدِ، فمَا الداعِي كَيْ نذهبَ معكُمْ فِي ساعةٍ متأخرةٍ كهذهِ؟ قوانينَ حمايةِ الأطفالِ ترفُضُ هذا، والنيابةُ الآنَ قدَ انتهَتْ ساعاتُ عملِهَا الرسميةِ؟ فَلِمَ لا نذهَبُ إلى النيابةِ صباحَ الغَدِ؟ أمْ هِي رغبةٌ فِي الإساءةِ إلينَا؟

- لوْ سمحْتَ يَا دكتورُ تفضَّلْ مَعَنَا ومَعَك ابنتُكَ فِي هُدُوءٍ.

باستياءٍ ودَهشَةٍ بدَأ الدكتورُ وابنته فِي ارتداءِ ملابسِهِمَا وأخذَ معهُ وثائِقَهُ من بطاقةِ الهويةِ ووثيقةِ السفرِ المثبتِ بها اسمُ ابنتِهِ وتاريخِ ميلادِها، بينَما كانَتْ زوجتُهُ تهدِّدُ بأنَّهَا - كَصَحَفيَّةٍ - لنْ

تسـكُتَ عـلَى ذلِـكَ، فالبـلاغُ إداريٌّ، ويمكِـنُ لهـم أنْ يسـتدعِوا الابنـةَ صباحًـا للتحقيـقِ برفقـة والدهـا، لكِـنْ أنْ يأخذُوهُـمَا ليـلًا وبهـذهِ السرعـةِ فهـذا شيءٌ غـير مقبـول.

هبـطَ الرجـالُ الثلاثـةُ بالمصعـدِ مـن شـقةِ الدكتـورِ وركبوا سـيارةً كبـيرةَ الحجـمِ فخمـةً سـوداءَ مضببـةَ الزجـاجِ وانطلقـتْ السـيارةُ وصفـاءُ تتابعُهـا بدهشـةٍ مـن الشرفـةِ حتـى انحرفـتْ السـيارةُ إلى الشـارعِ الأيمِـن فاختفـتْ عـن نظـرِ صفـاءْ.

فسـارَعَتْ إلَى الهاتـفِ، وتواصَلَـتْ مَـعَ مُحامِـي الأسرةِ، وحَكَـتْ لَـهُ كُلَّ مَـا دارَ اليَـومَ، وسـبب الموضـوعِ، ومتَـى تفجَّـرَ فِي المَدرسـةِ، فأفهَمَهَـا أنَّ القضيـةَ مُنعَدِمَـةٌ مِنَ الأسـاسِ ولا تُوجَدُ تُهمـةٌ؛ فالقوانينُ فِي العالَـمِ كُلِّـه لا تعَـترِفُ بالقُـوى الخَارِقَةِ، ولا تتعامَلُ إلا مَعَ السـببِ والمُسـبِّبِ المادِيَّـينِ، ولا بُـدَّ مِـن تُوافِـرِ أركانِ الجريمةِ مِنْ مَجْـنٍ عَلَيْهِ، وأدواتِ الجريمـةِ، والزمـانِ والمـكانِ والشـهودِ لحظـةَ وقـوعِ الجريمةِ، ونيَّـةِ الجـانِي لَحظـةَ ارتكابِـهِ الفعـلَ، وغيرِهـا مِـنْ أركانِ الجريمـةِ. ومُعظمُهَـا غـيرُ مُتوفِّـرٍ فِي هـذهِ الادعـاءات، وحَتّـى مـع تَوفُّـرِ المجنِي عليـه وهـو الأسـتاذُ أحمـدَ - كما يدعون - فـإنَّ مُعظَـمَ أركانِ الجريمةِ غـيرُ مَوجـودةٍ والقانـونُ لا يحكُـمُ عـلَى الغيبيـاتِ والخوارقِ.

اطمأنَّت صفاءُ مِنَ المُحامي من هَشاشَةِ القضيَّةِ، واتَّفَقَا أنْ يذهَبَا مِنَ الصَّبَاحِ الباكِرِ؛ ليتابِعَا التحقيقَ فِي النيابةِ، وبقِيَ أمامَهَا مَهمَّةُ إعلامِ الرأيِ العامِّ.

بنظرةٍ لساعتِها تراجعتْ عن فكرةِ الاتصالِ الهاتفيِّ بزملائِها الصحفيينَ، إذ لا يَصِحُّ أنْ تتَّصِلَ بِزملائِهَا بعدَ الواحدةِ ليلًا؛ لُتزعجَهُمْ بقضيّةٍ خرافيَّةٍ، ففضَّلَتْ أنْ تكتُبَ منشورًا علَى صفحاتِ التواصُلِ الاجتماعِيِّ، وترسِلَهَا خصيصًا للأصدقاءِ مِمَّنْ يعتنُونَ بهذا الأمرِ، مِنْ مُحرِّرِي الصُحُفِ ومُعِدِّي بَرامجِ الفَضائياتِ وغيرِهَا. كتبَتْ على صفحتها:

"إلى زملائِي الإعلاميينَ مُناصِرِي الحِّق والحقيقةِ. أكتُب إليكُم وأنَا أمُرُّ بظَرفٍ قاهِرٍ، فقدْ حضَرَتْ قُوةٌ إلَى بيتِنَا وقبضَتْ علَى ابنتِي التِي لمْ تبلُغْ مِنَ العُمُرِ 14 عامًا مِنْ منزِلنَا الساعةَ الواحدةَ ليلًا تمهيدًا لعرضِهَا علَى النيابةِ في التاسعةِ صباحَ الغدِ بتُهمَةِ قتلِ معلّمِهَا بالحسَدِ، تخيَّلُوا إلَى أيِّ مَدَى وصَلَ تفكيرُ مجتمعِنَا! ابنتِي مُتهمَةٌ بقتلِ مُعلّمِهَا بعَينيْهَا. أرجُوكُمْ لا تضحكُوا من تُهمَةِ ابنتِي؛ فالوضعُ فعلًا خطِيرٌ، فمَنْ يقِفُ وراءَ اتهامِ ابنتِي أربعةٌ مِنْ أصحابِ النفوذِ المُجتمَعِي والرسميّ، لِواءُ شرطةٍ، وإعلامِيٌّ شهيرٌ

Battanäili
نسخة غير مخصصة للطباعة

ومُحامٍ شهيرٌ، ورجلُ وعظٍ معروفٌ، وهُمْ أولياءُ أمورٍ لطالباتٍ في مَدرسَةِ ابنتِي.

أرجُوكُمْ، ادعَمُوا ابنتِي ووالدَها الذي أخذُوه معَهَا. لِيَقُمْ كُلُّ وَاحِدٍ منكُمْ بِدَورِهْ، اضغطُوا للإفراجِ عَنِ ابنتِي".

نشْرِت المنشورِ علَى صفحَتِهَا في مواقع التواصُلِ الاجتماعِيّ، ثُمَّ بَدَأتْ تُشارِكُ المنشورَ لعددٍ مِنَ أصدقائِهَا الإعلاميينَ والمُحامِينْ.

لَمْ تَكُنْ تتصوَّرُ أنَّ مَنشُورًا تنشُرُهُ بعدَ الواحدةِ سيجْذِبُ المتابعينَ إلَى التعليقِ علَيهِ، وإبداءِ التَّضامُنِ، وانهمَكَتْ تشرَحُ الموضوعَ لِمَنْ طلَبَ مزيدًا مِنَ المعلوماتِ وتَرُدَّ مُوضّحَةً عُنوانَ النيابةِ الّتي ستتوجَّهُ إليهَا ابنتُهَا صباحًا وتشكُرُ مَنْ يواسِيهَا أوْ يُعلِنُ تَضَامُنَهُ.

انهمَكَتْ في الردودِ ومُتابَعةِ المَنشورِ... ارتجفَتْ عِندَمَا دَقَّ جَرَسُ البَابِ، انتبَهَتْ للساعةِ علَى شَاشَةِ الكمبيوترِ. كانَتِ الرابعةَ فجرًا، بسُرعَةٍ نهضَتْ؛ لفتْحِ البابِ، وفِي مُخيّلَتِهَا أنَّ الشُّرطَةَ أعادَتْ زوجَهَا وابنتَهَا بَعْدَ ثلاثِ ساعاتٍ مِنَ التحقيقِ.

بلهفةٍ فتحَتِ البابَ فوجَدَتْ ثلاثةً مِنْ رِجَالِ الشُّرطَةِ قدَّمَ أحدُهُمْ بطاقَتَهُ الشُّرطِيَّةِ لـلأمْ. وقَالَ:

- نَحْنُ معَنَا أمرٌ مِنَ النيابةِ بالقبضِ علَى نَجلتِكُمْ. وبإمكانِكِ أنتِ أوْ والدِهَا إنْ كانَ مَوجُودًا أنْ يصحبَهَا مَعَنَا طبقا لقانونِ معاملةِ الأطفالِ الجناةِ.

كادَتْ أنْ تفقِدَ وعيَهَا مِنْ وَقْعِ مَا تَسْمَعُهْ.

- مَاذا تَقُولُ؟

- مَعِي أمرٌ مِنَ النيابَةِ... قاطَعَتْهُ بِنَبْرَةِ صراخٍ.

- مَاذا تَقُولُ؟ الشُّرطَةُ أتَتْ مِنْ أربعِ ساعاتٍ واصْطَحَبَتْ ابنتِي ووالدَهَا تمهيدًا لعرضِهَا علَى النيابَةِ.

- لا يَا سَيِّدَتِي، لَمْ يَحدُثْ...

قَبلَ أنْ يُكمِلَ كلامَهَ صَرَخَتْ، وأمسَكَتْ بِتَلابِيبِ الشُّرطِيِّ.

- أينَ ابنتِي وزوجِي؟ وأصَابَتْهَا هِيستريَا السؤالِ فَظلَّتْ تكرِّرُهُ دَونَ وَعْيٍ.

تجمَّعَ الجِيرانُ مِنَ الشَّقَقِ العُلوِيَّةِ والسُّفلِيَّةِ، يريدُونَ مَعرفةَ الأمرِ. وسألُوا رجالَ الشُّرطَةِ، وأكَّدَ أحَدُ الجيرانِ أنَّهُ شاهَدَ الدكتورَ

Battanaili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وابنتَـه يهبِطـانِ السُّـلَّمَ مَـعَ رجـالٍ يبـدُو عـلَى هَيأتِهِـمْ أنَّهُـمْ رِجـالُ شُرطَـةٍ. ونفَـى الشُّرطِـيُّ مِـرارًا هَـذا الأمـرَ. وسـأَلَه البَعضُ:

- هَلْ يُمكِنُ أنْ تنفِّذَ وزارةُ الشرطة مَأمُوريةً هِيَ مِنْ مَهَامِ ديوانِ الشُّرطَةِ بالمدينةِ، فتكونُ الوزارةُ قبضَتْ عليهِمَا قبلَ ديوان شُرطَةِ المدينةِ، فأكَّدَ الشُّرطِيُّ أنْ ذلكَ مُستَحِيلٌ؛ لأنَّ الوزارةَ كانَتْ على تواصلٍ مَعَنَا قبلَ المجيءِ إلَى هُنَا بِدقائقَ، ولا تَعرِفُ شيئًا عمَّا تقولُهُ الأُمُ.

صرخَتْ الأُمُ:

- أنَا أتَّهِمُ الشُّرْطَةَ بإخفاء زوجِي وابنتي.

- ولِمَـاذا لا تتَّهِمِـينَ آخريـنَ بذلِـك، صرَخَ الشُّرطِـيُّ: نَحنُ سَنسـجِّلُ مَـا حَـدَثَ الآنَ بِـكُلِّ تفاصيلِـهِ، وسيُسـاعِدُكِ تقريرُنـا فِي الوُصُـولِ إلَى الحقيقَةِ.

- مَاذا ستَكتُبُ فِي التَّقريرِ عَنْ زوجِي وابنتِي؟

- أنَّ المُتَّهَمَـةَ المطلُوبَـةَ قـد هربَـت أوِ اختفَـتْ قبـلَ وصـولِ قُـوَّةِ الشُّرطَـةِ، ومَطلـوبٌ مِنـكِ يـا سـيدتي التوقيعُ عـلَى المُذكِّرةِ؛ فقـدْ أدَّينَا عملَنَـا وحضَرْنَـا لكُـمْ ولَـمْ نَجِدِ المَطْلـوبَ، ولا بُدَّ مِنْ ذكرِ سـببِ عدمِ وجودِهِـمَا بالمَنزِلِ.

- زوجِي لَمْ يهرَبْ، صرخَتْ فِي وَجهِهِ وأكملت: زوجِي قبَضْتُمْ علَيهِ مِنْ أربَعِ ساعاتٍ، وتدَّعُونَ أنَّكُمْ لَمْ تفعَلُوا؟ اكتُبْ ذلِكَ وأنَا سَأوقِّعُ عليهِ الآنَ فِي المُذكَّرَةِ.

- أنا شاهِدٌ علَى اصطِحَابِ قوة لَهُ ولابنَتِهْ ويُمكِنُنِي التوقيعُ مَعَكَ علَى المُذَكَّرَةِ، بَلْ سَوفَ أقولُ ذلِكَ متَّى تَمَّ استدعائِي إلى الشَّهَادَةِ، هكَذا قالَ جارُهُمْ الذي لا تَعرِفُ صفاءُ اسمَهُ، فكَأنَّهَا وجَدَتْ مَنْ يَدْعُمُ مَوقِفَهَا.

- هَلْ تَستطِيعُ أنْ تتوجَّهَ مَعِي الآنَ إلَى ديوان رئاسة الشُّرطَةِ؛ لِتحرِيرِ مُذكَّرَةٍ بِذلِكَ وتشهَدُ فِيهَا بِمَا رأيْتَ طالَمَا أنَّ هَذا الشُّرطِيَّ لا يُريدُ أنْ يُثبِتَ لِي مَا أقولُهُ فِي المُذّكِّرةِ؟

- طبعًا.

وتزاحَمَتْ كلماتُ التعاطفِ والتضامنِ مِنَ الجيرانِ الواقفينَ أمَامَ الشقَّةِ وأبدَى عددٌ مِنَ الشَّبَابِ الرَّغبَةَ فِي التَّوجُّهِ إلِى القسمِ مَعَهَا.

شَعُرَ الشُّرطِيُّ أنَّ الأمْرَ بَدَأ يتَّسِعُ وأنَّ وُجودَهُ الآنَ غيرُ مُسْتَحَبٍّ فانصرَفَ مَعَ قُوتِّهِ الصغيرةِ. وبَدَأ الجميعُ فِي طَرحِ مُقترحَاتٍ للتَّحَرُّكِ الإيجابيِّ، مِثل إنشاءِ صَفْحَةٍ علَى مَواقِعِ التَّواصُلِ الاجتماعِيِّ ومشاركَتِهَا

علَى أوسعِ نِطاقٍ، بينَمَا نصحها جارٌ يعمَلُ مُحامِيًا ألا تُسْتَبَقَ الأحداثُ، وطالما الدكتور والابنةُ لهُمَا موعِدٌ فِي النيابةِ فِي الساعةَ التاسِعَةِ صَبَاحًا، فلا داعِيَ لنشْرِ شيءٍ؛ فالمتبقِي أربعُ ساعاتٍ. ورُبَّمَا وجدْنَا الدكتورَ والابنةَ ماثِلَيْنِ أمامَ النيابةِ فِي المَوعِدِ.

اتفَقَ الجَميعُ علَى التحرّكِ إلَى النيابةِ فِي الثامنةِ والنِّصفِ وذهَبَ كُلٌّ إلَى شقَّتِهِ، بينَمَا اتَّجَهَتْ صفاءُ إلَى جهازِ الكمبيوترِ المحمولِ؛ لِتَكْتُبَ رِسَالةً جديدةً علَى مَواقِعِ التَّواصِلِ بآخرِ مُستَجَدَّاتِ قضيّةِ ابنتِهَا فكتَبَتْ:

"تَطوُّرٌ جَديدٌ فِي القضيَّةِ، ابنتِي ووالدُها مَخطوفانِ، أصدقائِي الإعلاميينَ وَكُلُّ المتعاطفينَ مَعَ ابنتِي وزوجِي! بعدَ أربَعِ ساعاتٍ مِنْ إلقاءِ القبضِ علَى ابنتِي الطفلةِ واصطحابِهَا ووالدِها إلَى ديوانِ رئاسةِ الشُّرطَةِ بالمدينةِ حضرَتْ فِي الرابعَةِ فجرًا قُوَّةٌ مِنَ الشُّرطَةِ؛ للقبضِ علَى ابنتِي الطفلةِ مَرَّةً ثانيَةً. وأكدَّتِ القُوَّةُ أنَّها لَمْ يسبِقْ لَهَا القبضُ علَى ابنتِي أوِ اصْطحابِهَا مَعَهُمْ، أدعُوكُمْ؛ للتضامُنِ مَعَنَا بأوسَعِ نِطاقٍ، ابنتِي وزوجِي مَخطُوفَانْ".

لاحظَتْ صَفاءُ أنَّ مَوجَةَ تعليقاتٍ كبيرةٍ تتوالى علَى المنشورِ وفِي خِلالِ ساعتين تمَّتْ أكثرُ مِنْ خمسمِئَةِ مشاركةٍ للمنشورِ علَى الصفحاتْ

ووصَلَتِ التعليقاتُ إلَى مَا يقارِبُ الثلاثينَ ألفًا، الأعدادُ تتزايدُ بشكلٍ غيرِ طَبيعِيٍّ. هِيَ لا تصدِّقُ مَا يَجْرِي، أمَعقولٌ أنْ يكونَ المُتضامِنُونَ مَعَهَا بِهذا الحجمِ هِي نفسُهَا لَمْ يَزِدْ عَددُ أصدقائِهَا عَنْ ألفٍ وثلاثمِئَةِ صَديق، مُعظَمُهُمْ لا يُعلِّقُونَ وَلا يَتَفَاعَلُونَ علَى صفحَتِهَا، قالَتْ لنَفسِهَا فِي نَشوةِ المُنتَصِرِ: بالتأكيدِ أنَّ المُنظَّمَاتِ الحقوقيةَ وَمُنَاصِرِي الحُرِّيَاتِ والناشِطينَ وحماةَ الطفولة وجهاتٍ كثيرةً لا تعرِفُهَا لَهُمْ يَدٌ فِي هَذا التضامُنِ الكبيرِ وهَذا الانتشارِ المدهشِ للمَنشُورِ، وأدركَتْ أنَّهَا مَنصُورَةٌ لا مَحالةَ فِي قَضِيَّتِهَا.

فِي الثَّامِنَةِ والنِّصفِ تحرَّكَتْ سيّارتانِ بِهِمَا سِتَّةٌ مِنَ الجِيرانِ وَمَعَهُمْ صفاءُ إلَى مَقَرِّ النيابةِ، وقَفَ الجميعُ أمامَ المبنَى، لَمْ تَكُفَّ الاتصالاتُ الهاتفيةُ علَى صفاء؛ للاطمئنانِ عليها مِنَ الأصدقاءِ والأقاربِ وعائلتِهَا التي علِمَتْ بالخبرِ فَحَضرَتْ علَى الفَورِ، فِي التاسعةِ وجدَتْ صفاءُ نفْسَهَا مُحَاطَةً بأكثرَ مِنْ ثَلاثينَ مِنَ الأصدقاءِ والأهلِ أمامَ النيابةِ، والعددُ يتزايدُ. الأمرُ الّذي دَفَعَ بِرئيسِ النيابةِ إلى أنْ يخرُجَ لِيستَطلِعَ الأمرَ وسببَ تَجُمِّعِ هؤلاءِ الأفرادِ، فَطلبَتْ صَفاءُ مِنهُ أنْ يستمِعَ إلَى أقوالِهَا فِي اختفاءِ زوجِهَا، خصوصًا أنَّهُ كانَ مَطلُوبًا للنيابةِ الآنَ ومرَّتْ ساعةٌ دُونَ وُصولِهِ، طلبَ رئيسُ النيابةِ مِنْ صفاءْ أنْ تُمْهِلَهُ إلِى حِينِ الاتصالِ بِديوان رئاسةِ الشرطةِ بالمدينة؛ لتجليَةِ الموقفِ، ومعرفَةِ

Battanali
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

المَوضوعِ، وَمَاذا تَمَّ فيهِ، دَخَلَ رئيسُ النيابةِ، وبعدَ رُبعِ ساعةٍ استدعَى صفاءَ وأخَذَ أقوالَهَا فِي اختفاءِ ابنتِهَا وزوجِهَا، بعدَ أنْ تأكَّدَ مِنَ ديوان رئاسة شُّرطَةِ المدينةِ أنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا الابنةَ وَلا الزّوجَ فِي البيتِ، وأنَّ الشُّرطَةَ لا تعرِفُ شيئًا عَنْ مَوضُوعِ الاختفاءِ، وبرَّرَتْ ذلكَ بأنَّ الزَّوجَ قَدْ هَرَبَ هوَ وابنتُهُ قبلَ وصولِ الشرطةِ إليهِ.

خلال ساعَةٍ مِنَ التحقيقِ أدْلَتْ صفاءُ بتفاصيلِ القصّةِ، مِنْ أول مُشاجراتِ الطالباتِ إلَى مَا تُروِّجُهُ الطالباتُ وأولياءُ الأمورِ والمُدرِّسَةُ عَنْ قتلِ ابنتِهِمَا لمُعلّمِهَا بنظراتِ عينَيْهَا، وأكَّدَ رئيسُ النيابةِ لصفاءَ أنَّ علَى زوجِهَا - إنْ كَانَ هَارِبًا - أنْ يُسَلِّمَ نفسَهُ؛ فالقضيةُ تافهةٌ، ولا تستَنِدُ إلَى دليلٍ وَاقِعِيٍّ، وأنَّهُ لا داعِيَ للهرَبِ إنْ كانَ هارِبًا، فالقضيةُ غالبا ستُحفَظُ إداريًا؛ لعَدَمِ ثُبوتِ الأدلَّةِ.

خرجَتْ صفاءْ مِنْ مَبنَى النيابةِ فوجَدَتْ أكثَرَ مِنْ مِئَتَيْ فردٍ مُعظَمُهُمْ لا تعرِفُهُمْ ينتظِرُونَهَا ولفَتَ انتباهَهَا إضاءاتٌ خاطفةٌ مِنْ كاميراتِ تصويرٍ صُحُفِيَّةٍ. وَرَأتْ كاميراتِ قنواتٍ فضائيةٍ جانبيةً تُصَوِّرُ خُروجَهَا، فتشجَّعَتْ وركِبَتْ فوقَ رَصيفٍ يعلُو الجميعَ وبدَأتْ فِي الإدلاءِ بِحديثٍ صُحُفِّي لِمَنْ يصوِّرُ ولِمَنْ يَسمَعُ، أفاضَتْ فِي الشرحِ والتوضيحِ لِقصّةِ ابنتِهَا مِنَ البدايةِ للنهايةِ، وكشفَتْ

Ballonalli PUBLISHING HOUSE

عَـن رأيِ النيابـةِ عَـنْ تَفَاهَـةِ القضيةِ قانونًا، وأنَّهَا لا يعنيهَا الآنَ سِـوَى عـودةِ الابنـةِ والـزوجِ المَخْطُوفَـينِ، وأنَّ عـلَى وزيـرِ الشرطـة والأمـن تفسـيرَ مـا حـدث لزوجِهـا وابنتِهـا، سَـواءٌ تَـمَّ الخطفُ مِـنْ رِجَالِـهِ أَوْ مِـنْ مُواطِنـينَ عاديـينَ أَوْ مِـنْ جِهـةٍ غـيرِ مَعلومَـةٍ، وحَمَّلَـتِ الشرطـة مسـؤوليةَ الحِفـاظِ عـلَى حيـاةِ ابنتِهَـا وزوجِهَا.

عـادَتْ صفـاءُ إلى البيـتِ وفتحَـتْ جهـازَ الكمبيوتـر فوجَـدَتْ مشـاركاتِ المَنشـورِ قَـدْ وصَلَـتْ إلَى ثلاثَـةِ آلافِ مُشـاركَة، وقـد وصَـلَ المَنشـور إلَى مَـا يُقـارِبُ مِئَـةَ ألـفِ مُشـاهدَة، وأنَّ مواقـعَ التواصـلِ تنـشُر إعلانـاتٍ عَـنْ برامـجَ قنـواتٍ فضائيـةٍ خَصَّصَـتْ فقـرةً مُهمَّـةً عَـنْ الموضـوعِ مَسـاءَ اليـومِ، بَـلْ فُوجِئَـتْ أنَّ اسـمَهَا مَوجُـودٌ كضيفةٍ فِي برنامَجَـيْن ولَـمْ يَكُـفَّ الهاتِـفُ عَـنِ الرَّنـينِ مِـنْ مُعِـدِّي البرامـجِ ومُحَـرِّرِي الصُحُـفِ.

Bellenaili
نسخة غير مخصصة للطباعة

فِي الواحَـدةِ ظُهـرًا شـعُرَتْ بِصُـدَاعٍ ودُوَارٍ، فتذكَّـرَتْ أنَّهَـا لَـمْ تَضَعْ شـيئًا فِي فمِهَـا مِـنَ العاشرةِ مَسَـاءَ الأمسِ، فقامَتْ؛ لِتَعُدَّ شَـطيرتينِ مِنَ المُـربَّى بالزُّبـدِ أكلَتْهُـما وهِي جَالِسَـةٌ تكتُبُ مَنشـورَهَا الثالِـثَ قَبلَ أنْ تخطِفَ سـاعةَ نـومٍ فكتبَتْ

"عُـدْتُ مِـنَ النيابـةِ مِـنْ سَـاعَةِ وأشـكُرُ كُلَّ مَـنْ حَـضَر إلَى مَقَـرِّ النيابـةِ داعـمًا، وأشـكُرُ كُلَّ مَـنْ دعَّمَنَـا عـلَى صفحـاتِ التَّواصُـلِ، حرَّرْنَـا مُذكَّـرَةً رَسْـمِيَّةً فِي النيابـةِ باختفـاءِ ابنتِـي وزوجِـي وأحِـبُّ أنْ أُشِـيدَ بالتَّعامُـلِ الراقِـي للسـيِّدِ رئيـسِ النيابـةِ، بلدُنَـا بخـيرٍ، وبِهَـا رِجـالٌ مـن ذَهَـبٍ، ووقفتُكُـمْ مَعَنَـا خَـيرُ دليـلٍ، اليـومَ سـأتحدَّثُ فِي ثـلاثِ قنـواتٍ: فِي التاسـعة مَسَـاءً فِـي قنـاةِ (المعرفـة)، وفِـي العـاشرة مسـاءً فِـي قنـاةِ (الحقيقـة)، وفِي الحاديـة عـشرة مسـاءً فِي (القنـاةِ العـاشرةِ)، ولأننِـي أشـعُرُ بـدُوَارٍ اسـمَحُوا لِي! لَـنْ أتواصَـلَ مَعَكُـمْ حتَّـى المَسَـاءْ".

جعلَتْ هاتفَهَا صَامِتًا وأغلقَتِ الجهازَ وراحَتْ فِي نومٍ سَرِيعٍ.

Baffanaili
PUBLISHING HOUSE

الفصل الخامس

استيقظَتْ صفاءُ في السادسة عصرًا، نظَرَتْ إلَى الهاتفِ فوجدَتْ مِئَتَيْ وَستْ عشرَةَ دَقّةَ هاتفٍ لَمْ تَرُدَّ عَليْهَا، فتحَتِ قائمةَ المتصلين في الهاتف، صُحُفِيُّونْ، أرقامٌ لا تعرِفُهَا، المُحامِي، واسترعَى انتباهَهَا دَقَّةُ هاتفٍ مَرتَينِ مِنْ "رقمٍ خاصْ". تَساءَلَتْ: تُرَى هَلْ يَكونُ وزيرَ الشرطة والأمن؟ أمْ مَكتَبُ رئاسةِ الدَّولَةِ، أعادَتْ الاتصالَ بِهذا "الرقم الخاصَّ" وإذْ بالرقمِ يَحوِي خاصيةَ عدمِ استقبالِ المكالماتِ والرسائلِ مِنَ الآخَرِينَ. قالَتْ في نفسها رُبَّمَا يتَّصِلُ.

بدأتْ تَستَعِدُّ لحواراتِ المَساءِ وتُعِدُّ نقاطَ الحديثِ وترتِّبُ أولوياتِهَا، وعلَى مَنْ ستُلقِي المسؤوليةَ في اختفاءِ ابنتِهَا وزوجِهَا، فتحَتِ التلفازَ،

وقلَّبتْ عددًا مِنَ المَحطّاتِ وجدَتْ عِدَّةَ قنواتٍ تُعلِنُ عَنْ حلقاتِ هَذا المَسَاءِ، وفِيها فِقرةٌ عَنْ "لغز اختفاءِ ابنتها وأبِيهَا" هكذا صاغوا المادةَ الإعلانيةَ، مَا عَدا قناةَ "المستقبلِ" التي لا تزالُ تبُثُّ التنويهَ الذي تبثُّهُ مِنَ الأمسِ عَنْ خَوارقِ ابنتها والضيوفِ المتحدّثينْ ومِنهُمْ - ولَم يَزَلْ - اسمُ زوجها وابنتها!

انتظرَتْ أمَامَ الشاشةِ، السَّاعةُ الآنَ السابعة، موعِدُ برنامجِ تامر شوباشْ بعدَ دقائقَ كانَ تامرُ شوباشُ يفتتِحُ الحلقةَ، مُعلِنًا عَنْ عدمِ حضورِ الدكتورِ وابنتِه إلى الاستديُو حتّى هذهِ اللحظةِ، وكأنَّهُ لَمْ يعلَمْ ما تناقلَتْهُ وسائلُ الإعلامِ والمواقعُ الإخباريةُ ومواقِعُ التواصلِ عن اختفائِهِما من الأمسِ، قالَتْ لنفسِهَا يعلَمُ، ويتجَاهَلُ ذلكَ. وقدَّمَ ضُيوفَهُ، ابتَدَأَ باللواءِ عمر نصر الذي أعلَنَ أنَّ عدمَ حُضورِ الدكتور هو استمرارٌ لتهرُّبِهِ؛ فقَدْ هربَ هُوَ وابنتُه مِنْ بيتِهِ قبلَ وُصولِ الشُّرطَةِ؛ حتَى لا تمْثُلَ ابنتُه للتحقيقِ، وبنبرةٍ حادة قال:

- الاتهاماتِ التي تَكيلُهَا زوجتُهُ الصُحفيِّةُ للشُّرْطَةِ هِيَ مُجرّدُ أكاذيبَ لا دليلَ علَيهَا، فَمَا مَصلحُةُ الشُّرطَةِ فِي اختفاءِ مُواطِنٍ لا يمارِسُ السياسَةَ ولا يحمِلُ أفكارًا مُعارِضَةً للحُكمِ؟ فإذَا كُنَّا نعرِفُ أنَّ لِكلِّ حَدَثٍ دافعًا فمَا الذي يدفَعُ الشُّرطَةَ إلَى إخفائِهِ؟ إنَّ الحقيقَةَ واضِحَةٌ،

فالطفلَةُ هِيَ الجانِي وعيناهَا أداةُ الجريمةِ، لذلِكَ فإخفاءُ أداةِ الجريمةِ هُوَ سببُ هُروبِهِ مِنْ بيتِهِ بِالأمسِ لإخفاءِ الطفلَةِ.

وهُنَا نَوَّهَ المُذيعُ أنَّ الحلقةَ ستتلقَّى العديدَ مِنَ الاتصالاتِ علَى الهواءِ وبدَأَ بِاتصالٍ هاتفِيٍّ مِنْ إحدَى الطالباتِ التي قصَّتْ مَا لاحظتْهُ مِنْ عُيُونِ الفتاة فهِيَ عندَمَا تنظُرُ إلَى أيِّ شيءٍ لدَى صديقاتِهَا يعطُبُ أوْ ينكَسِرُ أوْ يتمزَّقْ، ورَوَتِ الإخصائيةُ النفسيةُ العديدَ مِنْ شكاوِي زميلاتِهَا، ورَوَتْ حكايةَ مَوتِ مُعلّمِهَا بعدَ خِلافِهِ مَعَ الطالبةِ بساعاتٍ وحذَّرَتْ مِنْ خُطورةِ وجود الطالبةِ بينَ الطالباتِ فِي المَدرسَةْ.

أخَذَ الإعلامِيُّ خيطَ الكلامِ مِنَ المُتَّصِلَةِ ووجَّهَ سؤالَهُ إلَى الدكتور محمدْ عبد القويْ أستاذِ علمِ نفْسِ الخوارقِ.

- هَلْ يُمكِنُ أنْ يحدُثَ ذلِكَ حقًّا يَا دكتور محمدُ؟ ومَا تفسيرُ العلمِ لذلِكَ؟

في هدوءِ الأساتذةِ أجابَ الدكتورُ محمدُ:

- الحقيقةُ أنَّ هُناكَ عِلْمًا حَديثًا مُختَصًّا بهذهِ الظواهرِ الخارقةِ للطبيعةِ هوَ علمُ نفْسِ الخوارقِ أوْ "الپاراسايكولوجي Parapsychology" وهُوَ يَدرِسُ كيفيةَ حُدوثِ تأثيراتٍ

عــلَى الأجســامِ دُونَ تَمَــاسٍ مُبــاشِرٍ معَهَــا ودُونَ اتصــالٍ مُبــاشِرٍ ودُونَ أيَّــةِ وســيلةٍ فيزيائيــةٍ معروفــةٍ ويــدرِسُ القــدراتِ غــيرَ المألوفــةِ التــي يَحوزُهَــا بعــضُ الأشــخاصِ كــمَا يهتَــمُّ بتفســيرِ الإدراكِ دونِ اســتعمالِ الحــواسِ الخمــس.

هُنَا قاطَعَهُ الْمذيعْ.

- هَلْ يُمْكِنُ يَا دكتور أنْ تقدِّمَ توضيحًا للكلامِ السابقِ وأمثلةً؛ ليفهَمَ الجُمهُورُ؟

ضحك الدكتور وقال:

- الجمهورُ الآنَ يفهمُ كلَ شيءٍ، فهو يتابعُ الجديدَ من خلالِ شبكاتِ الاتصالِ الحديثةِ، ولكننا نوضحُ: هَذا العلمُ يدرِسُ بعضَ الأشياءِ الغامضةِ التي تَمُرُّ بالإنسانِ، فأحيانًا نَرى شخصًا يفهَمُ مَا يَدُورُ بِعقلِ شخصٍ آخرَ دُونَ كلامٍ وَلا كتابةٍ ولا إشارةٍ وهذا نُسمِّيه علمُ التخاطرْ Telepathy، وأبناءُ الباديةِ ينتشِرُ بينَهُمْ هذا ويقولُونَ فِي أشعارِهِمْ (وفيه اللي يفهم تلميح * وفيه اللي لازم تكتب له)، وأبناء وادي النيل يقولُونَ "فلان يفهمها وهي طايرة".

وكذلِكَ هُناكَ ظاهِرَةٌ أخرَى مثلَ أنْ يرَى شخصٌ حادثًا يحدُثُ لشخصٍ آخرَ علَى بُعدِ مِئاتِ الأميالِ فِي اللحظةِ نفسِهَا ويكونُ الحادِثُ

Battana.li
نسخة غير مخصصة للطباعة

حقيقِيًّا فعلًا وَهَذا هُوَ علمُ الجلاءِ البصرِيْ Clairvoyancy مِثلَ زرقاءِ اليمامةِ فِي تراثِنا العربِيِّ الَتي رأَتْ أعداءَ قومِهَا علَى مَسافةِ أميالٍ بَعيدةٍ وعندَمَا أخبَرَتْ قبيلتَهَا بقدومِ الأعداءِ علَى بُعدِ أميالٍ لَمْ يُصَدِّقُوهَا رُغْمَ صِدْقِهَا.

وكذلِكَ هُناكَ ظاهرةٌ أخرَى وهِيَ أنْ يعرِفَ شخصٌ الأحداثَ قَبلَ وقوعِهَا بِسَنَواتٍ أوْ شُهورٍ أوْ أيامٍ مِثْلَ توقُّعِ مَوْتِ رئيسِ دولةٍ أوْ زلزالٍ أوْ كارثةٍ مُعيَّنةٍ ستَحْدُثُ فِي شَهْرٍ مُعيّنٍ ويتحقَّقُ كَلامُ هَذا الشَّخصِ. وهَذا يُسمَّى بُعدُ النَّظْر Precognition ونَحْنُ نَجِدُ ذلِكَ فِي حياتِنَا أحْيانًا.

وأخيراً عِلمُ القُوَى الخارقَةْ Psychokinesis ويَهْتَمُّ بالقُوى الخارقَةِ مِثلَ قُدْرَةِ شَخْصٍ علَى تَحريكِ الأشياءِ أوْ لويهَا أوْ كسرِهَا أوْ حَرقِهَا دُونَ أنْ يَلمِسَهَا وإنَّمَا يحرِّكُهَا أوْ يَحْرِقُهَا بِواسِطَةِ النَّظَرِ إليْهَا فقَطْ وأظُنَّ أنْ هَذا النَوْعَ ينطبِقُ علَى حَالَةِ الفتاة فهِيَ تمتلِكُ قُوَى خَارِقَةً Psychokinesi. يُمكِنُهَا فِعلُ أيِّ شَيءٍ بِالنَّظَرِ بِعينَيْهَا وقصص التراث تخبرنا عن "العينِ التي فلقَتْ الحَجَرْ".

- لكِنْ هَلِ العالَمُ المُتَقّدِمُ فِي أمريكَا وأوروبَّا يدرسُون هَذا العِلمَ؟ سألَهُ المذيعُ.

- طبعًا. أجابَ الدكتور محمدُ، وأخذّ يعدِّدُ مَا فِي العالَمِ مِنْ جَامعَاتٍ ومعاهِدَ عِلميَّةٍ تدرِّسُهُ فقالَ اهتمَّتْ جَامعاتٌ كثيرَةٌ فِي العالَمِ بالبَحْثِ فِي عِلمِ الباراسايكولوجي، ومنْهَا جامعَةُ كورنينجن وسيتي كوليدج فِي نيويورك، وفِي إنجلترا تواصِلُ الكليَّةُ البريطانيّةُ للعلمِ الروحِيِّ أبحاثَهَا فِي هَذا العِلمْ وكذلِكَ كليةُ أدنبرة الروحيّةُ. وجامعةُ لندنْ أصبَحَ بِهَا مَعمَلٌ للبُحُوثِ سُمِّيَ (المعمَلُ الوطنِيُّ للبحثِ الروحِيْ) وتُصدِرُ جَريدةً أسبوعيَّةً توضِّحُ آخِرَ الأبحاثِ فِي هَذا المَجالِ أمَّا فِي فرنسَا فيُوجَدُ المَعهدُ الدولِيُّ لِمَا وراءَ الرّوحْ. وعلَى الرُّغمِ مِنْ أنَّ هذهِ الظاهرةَ غَيرُ مَدروسَةٍ عِلميًا فإنَّ العديدَ مِنْ أجهزَةِ المُخابراتِ مِثْلَ (CIA) قامَتْ برعايةِ بَرامِجَ عَنِ الباراسايكولوجيا وخاصةً للاستشعارِ عَنْ بُعدْ.

- هَلْ وصَلَ الأمرُ إلَى أنْ تَستخدِمَهُ المخابراتُ الأمريكيةُ؟ تساءَلَ الإعلامِيُّ مُندهِشًا ووجْهَ حديثَه إلَى الشيخِ عطيَّةْ مبارك.

- كَيفَ يُفسِّرُ لَنَا الدِّينُ هذهِ الخوارقَ الطبيعيَّةَ يَا شيخَنا الجليلْ؟

تنحنحَ الشّيخُ وكأنَّهُ فُوجِئَ بتحويلِ الحَديثِ إليهِ وانطلَقَ يتلُو مَا أعدَّهُ مِنَ الأمسِ:

- الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينْ والصلاةُ والسلامُ علَى أفضل الخلقِ أجمعينْ، بالنسبةِ للخوارقِ الطبيعيَّةِ فموجودَةٌ مِنْ قديمِ الأزلِ، وجاءَتْ فِي كُلِّ

الدياناتِ، وإنْ كانَتْ قَدِ ارتبطَتْ بالأنبياءِ، قالَ تعالَى فِي حَقِّ نبيِّهِ عِيسَى عليهِ السلامُ { وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 49]. وكذلِكَ عِلمُ سيدِّنَا الخضرِ بالمُستقبَلِ عِندمَا خرَقَ السفينةَ أوْ بنَى الجِدارَ أوْ قتلَ غلامًا. وجاءَ القرآنُ مُفسِّرًا لَنَا سببَ قيامِهِ بِهذَا. أوْ عِندَمَا يَشُمُّ والدُ يُوسُفَ رائحةَ ابنِه يُوسُفَ مِنْ مَسافَةِ أميالٍ أوْ يتنبَّأُ الرُّعاةُ بمولدِ سيدنا عِيسَى، وعَنِ النبيِّ محمدٍ روَى سيدُنَا أنسٌ ابنُ مالكٍ أنَّ النبيَّ صلّى اللَّهُ عليهِ وسلمَّ قالْ: رُبّ أشعثَ أغبَرَ لا يُؤبَهُ لَهُ لَوْ أقسَمَ علَى اللَّهِ لأبرَّهُ مِنهُمُ البَراءُ بنُ مالكٍ وقصَّةُ عِمرانَ بنِ حصينٍ المَشهورةِ فِي تَسليمِ الملائكةِ عليهِ رَواهُ مسلُمْ".

- ومَا رأيُ الفقهاءِ فِي قيامِ الإنسانِ بالخَوارِقْ؟ (تساءَلَ المُذيعْ).

- أهْلُ السُّنَةِ وجَمهورُ الأمَّةِ علَى إثباتِ كراماتِ الأولياءِ بخرقِ العاداتِ ثابِتَةٌ. فيقولُ الشَّيخُ ابنُ تيميَةْ "ومِنْ أصُولُ أهلِ السُّنَةِ والجَمَاعَةِ التَّصديقُ بكراماتِ الأولياءِ، مِثلَ أنْ يُشيرَ إلَى شَخصٍ فيمُوتْ؛ أوْ يُطيرُ فِي الهواءِ إلَى مَكَّةَ أوْ غيرِهَا، أوْ يَمشِي علَى الماءِ أحيانًا، وقَدِ اتفَقَ أولياءُ اللهِ علِى أنَّ الرَّجُلَ حتى لَوْ طَارَ فِي الهَواءِ أوْ مشَى علَى الماءِ لا ننخدع به".

شكَرَ المُذيعُ الشيخَ عطيّةْ ونوَّهَ إلَى أنَّ غُرفَةِ التَّحكُمِ فِي الاستديُو تُبْلِغُهُ أنَّ والدَ الطفلَةِ سيتداخَلُ فِي الحديثِ بمُكالَمَةٍ هاتفيَّةٍ.

- أهلًا يا دكتورْ، يسعِدُنَا أنْ تتواصَلَ مَعَنَا؛ لتوضِّحَ لنا وِجهَةَ النَّظرِ الأخرَى.

لاحظَ الجميعُ أنَّ الدكتورْ لَمْ يَرُدَّ علَى ترحيبِ الإعلامِيِّ وإنمَا انخرطَ فِي الكلامِ وكأنَّهُ شَريطُ تسجيلٍ مُنطلِقٍ يُريدُ توصيلَ حقيقةٍ معينَّةٍ ولا يتفاعَلُ مَعَ أسئلةِ المُذيعِ الذي حاولَ أنْ يعرِفَ تفاصيلَ أخرَى لكِنْ دُونَ جدوَى، كانَتْ المُكالمةُ مفاجِئَةً للجميعِ فِي الاستديُو فقَدْ قَالْ:

- أحِبُّ أنْ أوضّحَ للسادةِ المُشاهدينَ أنَّ ابنتِي قَدْ ثبُتَ يَقينًا أنَّها تمتلِكُ قُوَى خارقَةً وأنَّ مَا روتْهُ زميلاتُها صَحيحٌ تماما ومَا روتْهُ الإخصائيةُ مِنْ أنَّهَا قتلَتْ مُعلّمُهَا أحمدْ بأشعةٍ غامِضَةٍ تخرُجُ مِنْ عينَيْهَا بَعْدَ أنْ أهانَهَا فِي الفصْلِ صَحيحٌ تَمامًا والمَدرسَةُ بطلابِهَا وأولياءِ أمورِهَا يعرِفُونَ ذلِكَ، وأنني رصدْتُ حالةً مِنَ الترصُّدِ لابنتِي مِنْ مَجهولينَ يريدُون الثأرَ مِنهَا فلَمْ يَكُنْ أمامِي إلا الهَرَب، وأقولُ لأيَّةِ ضَحيَّةٍ: ابنتِي لا ذنبَ لهَا فِي أيِّ شَيءْ، فقَدْ وُلِدتْ وبهَا قُوَى خارقةٌ. فمَا ذنبُهَا؟

- هَلْ ستظلُّ هارِبًا؟

- .....

- يبدُو أنَّ الصَّوتَ انقطَعَ، هكَذا قالَ المُذيعُ وطلَبَ مِنْ غُرفةِ التحكُّمِ أنْ تُعاوِدَ الاتصالَ فكانَتْ المفاجَأةُ التي أعلنَهَا المُذيعُ أنَّ الهاتِفَ الذي تحدَّثَ مِنهُ رقَمٌ مُشَفَّرٌ بكلمَةْ "خاصْ" وأنَّه لا يتلقَّى المُكالماتِ وَلا الرسائِلَ.

وقعَتْ المكالمة كالصاعقةِ علَى رأسِ صفاءْ التي كانَتْ تُشاهِدُ الحلقةَ وهِيَ واقفةٌ أمَامَ التلفازِ تضرِبُ كَفًّا بِكَفٍّ وهِيَ تردِّدُ: مُؤامَرَةٌ مِنْ أولياءِ الأمورِ الأربعةِ علَى ابنتِي، ولكِنْ عندَمَا سمعَتْ زوجَهَا يقولُ إنَّهُ هرَبَ وأنَّ ابنتَهُ مُصابَةٌ فِعلًا انهارَتْ علَى الكُرسِيِّ مَاذا يحدُثُ؟ مَاذا جَرَى للدكتورْ وابنتِي؟ صرخَتْ وهِيَ تلطِمُ خَديهَا "هُناك شيءٌ غامِضٌ يجري، أيْنَ زوجِي؟ ومَنْ أرغَمَهُ علَى ذلِكَ؟ كَيفَ يكذِبُ الدكتورْ الذي لَمْ يكذِبْ فِي حياتِهِ ويدَّعِي أنَّهَ هرَبَ وهُوَ مَقبوضٌ عَليهْ أمامي؟ ثُمَّ حملَقَتْ فِي السِّجَادَةِ علَى الأرضِ قليلًا، وساوَرَتْهَا أفكارٌ مُشتِّتَةٌ: هَلْ يُمكِنُ أنْ يكونَ الدكتورْ تمكَّنَ مِنَ الهرَبِ مِنَ القُوةِ التي صحبَتْهُ بالأمسِ؟ لالا، المُذيعُ قَالَ: إنَّ الهاتِفَ الذي يتحدَّثُ مِنهُ هاتِفٌ "خاصْ" ولَمْ يُظهِرْ رَقَمًا. ومُزَوَّدٌ بخاصيةِ عدمِ استقبالِ المُكالماتِ، هَذا ليسَ هاتِفهُ وأكيدٌ هاتِفُ جِهَةٍ سياديةٍ كبيرةٍ، إذَنْ هُوَ لا يزالُ فِي حَوزَةِ الشرطةِ، ثُمَّ راودَهَا خَاطِرٌ ما إذا كان يُمكِنُ أنْ تكونَ جِهَةٌ غَيرُ حكوميّةٍ خطفَتْ ابنتِي وزوجِي. نظرَتْ فِي ساعتِهَا وبسُرعَةٍ غيَّرَتْ ملابِسَ الصَّباحِ وهرولَتْ؛ لتلحَقَ بالبرنامجِ التلفازيِّ بالقنَاةْ.

استقلَّتْ سيارةً، وذكرَتْ للسائِقِ عُنوانَ القناةِ فأكَّدَ أنَّهُ يعرفُهُ وانشغلَتْ بأفكارِهَا المُزدحِمَةِ وأخذَتْ تُعيدُ مَا جَرَى، إنَّهُ كابوسٌ لا تعرِفُ كيفَ تلاحقَتِ الأحداثُ بِهذهِ السَّرعَةِ وكأنَّ يدًا كبيرةً تخطِّطُ للموضوعِ، ففِي خِلالَ أربعٍ وعشرينَ ساعةً انقلبَتْ حياتُهَا، ابنتُهَا مُتهَّمَةٌ ثُمَّ مَقبوضٌ عليهَا ثُمَّ مُختطَفَةٌ أوْ هاربَةٌ. والبلادُ كُلُّهَا تتابِعُ قصَّةَ ابنتِهَا وزوجِهَا. فجْأَةً دَقَّ هاتِفُها "رقَمٌ خاصْ" بسُرعَةٍ ردَّتْ:

- نَعَمْ! مَنْ مَعِي؟

- ابنتِي قدَ ثبُتَ يقينًا أنَّها تمتلِكُ قُوَى خارقَةً...

- طاهر أيْنَ أنتَ؟ ومَا الذي قلتُه؟

لا حظَتْ أنَّه لا يَرُدُّ علَى سؤالِهَا، بَلْ ظلَّ كلامُهُ مُستمرًّا كأنَّهُ لا يسمَعُهَا.

Battandalli
نسخة غير مخصصة للطباعة

- ألو ألـــو ألـــو!

استمر صوته "وأنَّ مَا روتْهُ زميلاتُها صَحيحْ ومَا روَتْهُ الإخصائيةُ مِنْ أنَّهَا قتلَتْ مُعلِّمَهَا أحمدْ بِأشعَةٍ غامِضَةٍ تخرُجُ مِنْ عينَيْهَا بَعْدَ أنْ أهانَهَا فِي الفصلِ صَحيحٌ تمامًا".

- مَاذا تقُولْ؟ ألا تَسمَعُنِي؟ رُدَّ عَليّ!

لا حظَتْ أنَّهُ لا يسمَعُهَا، بَلْ ظلَّ حديثُهُ مُستمِرًّا كأنَّهُ يرددُ كلامًا مَحفوظًا "المَدرسَةُ بطلابِهَا وأولياءُ أمورِهَا يعرِفُونَ ذلِكَ وأنني رصَدْتُ حالَةً مِنَ الترصُّدِ لابنتِي مِنْ مَجهولينَ يريدُونَ الثأرَ مِنهَا فلَمْ يكُنْ أمامِي إلا الهَرَبْ".

- هَلْ أنتَ بلعْتَ شَريطَ تسجيلِ؟ اسمعني! اسمعني!

انقطَعَ الاتصالُ فجأةً حاولَتْ استعادَةَ المُكالمةْ جاءتْهَا رِسالَةٌ تقُول "هَذا الرَّقْمُ لا يستقبِلُ المُكالماتِ وَلا الرسائِلْ". قالَتْ بِصَوْتٍ عَالٍ:

- كيفَ لا يستقبِلُ المكالماتِ؟ هاتِفُ مَن هَذا؟

لاحظَتْ أنَّ السائِقَ ينظَرُ إليهَا فِي المَرآةِ مُندهِشًا مِنْ سَيْرِ المُكالمَةِ بِهَذا الشَّكْلِ الغَريبِ، فالتزَمَتِ الصَّمتَ وأخَذَتْ تُديرُ الأسئلَةَ فِي رأسِهَا، لاحظَتْ أنَّ مَا قالَهُ زوجها فِي المُداخلةِ التلفازيةِ هُوَ نفسُهُ مَا قالَهُ هُنَا كلمةً كلمةً، وأنَّهُ لَمْ يسمَعْ سُؤالَ المُذيعِ ولَمْ يَسمَعْ سؤالَهَا أيضًا، فكَسَرتِ الصَّمتَ بقولِهَا "شَريطُ تسجيلٍ صَوتِي" فِعلًا هَذا ليسَ زوجها نفسَهُ وإنَّمَا شَريطُ تسجيلٍ صَوتِي، وهَذا يُؤكِّدُ أنَّه مُختطَفٌ، هُوَ وابنتي.

وصَلَتْ إلَى القَنَاةِ فِي الموعِدِ بِالضبطِ، استقبلَهَا المُعِدُّ والمُذيعُ والفنيونَ بترحابٍ ودخلُوا بِهَا إلَى الاستديُو. بَعْدَ دَقائِقَ كانَتْ عَلى الهَواءِ مُباشَرَةً وبِمُجرَّدِ التَّقْدِمَةِ والتَّرحيبِ ومَعَ أولَى كلماتِهَا توجَّهَتْ بِحَدِيثِهَا للمُشاهِدِينْ "أحبُّ أنْ أوضحَ أنَّ زوجِي مُختطَفٌ وليْسَ هارِبًا، ومَا سمِعَهُ الناسُ عَلَى قَناةِ "المستقبلْ" شَريطُ تسجيلٍ لزوجِي وليسَ مُكالمَةً هَاتفيَّةً. وقَدْ حدَثَ الشيءُ نفسُهُ معِي مِنْ رُبْعِ سَاعَةٍ فقَدْ تلقَّيتُ الرسالَةَ المُذاعَةَ نفسَهَا بالحرفِ الوَاحِدِ، زوجِي اقتادَتْهُ مجموعةٌ مِنْ ثلاثةِ أفرادٍ وبَعدَ أربعِ ساعاتٍ جاءَتْ مجموعةٌ أخرَى تَسألُ عَنهُ، وفِي كُلِّ الأحوالِ فالشرطة مسؤولةٌ عَنْ زوجِي وابنتِي وعليهَا أنْ تُجيبَ عَنْ سؤالِي: أيْنَ زوجِي وابنتِي؟

بتعليماتٍ جاءَتْ مِنَ الفنيينَ فِي الاستديُو خرجَ المذيعُ فاصِلًا إعلانيًّا، وبدَأتْ صَفاءُ تنفعِلُ عَلى المَوجودينَ بالاستديُو، - لمَاذا خرجتُمْ فاصِلًا إعلانيًّا؟ زوجِي مُختطَفٌ وابنتِي مَصيرُهَا مَجهُولٌ، مَنْ وراءَ اختفائِهِمَا؟ هدَّأ الجميعُ مِنْ رَوعِهَا، واستكمَلوا الحوارَ وبدَؤهُ باتصالٍ هاتفِيٍّ مِنْ مُساعِدِ وزيرِ الشرطة والأمن الذي أكَّدَ أنَّ الموضوعُ كُلُّهُ غريبٌ، فالاتّهامُ المُوجَّهُ للطفلةِ غريبٌ، واختفاؤها مع والدها غَريبٌ ومكالمَتُهُ لقناةِ المستقبلِ أغربُ، فهِيَ مِنْ هاتِفٍ مُرتبِطٍ بشبكَةِ أقمارٍ صناعِيَّةٍ، وليسَ مِنْ الشَّبكَةِ المَحَليَّةِ بِالبلادِ، وقَدْ تتبَّعْنَا بعضُ كَاميراتِ المُراقبةِ

Battaniili
نسخة غير مخصصة للطباعة

بشارِعِهِ فِي التوقيتِ نفسِهِ الذي خرجَ منهُ مِنَ البيتِ ووجَدْنَاهُ فِعلًا يمشِي بينَ ثلاثةِ أفرادٍ موَّحَدِي الملابِسِ ونوعُ السيارةِ التي ركبُوها لا تتبعُ أيَّةَ جِهَةٍ أمنيِّةٍ ولا تظهَرُ لها أرقامٌ لنستدلَ عليها، ونحنُ نؤكِّدُ فِعلًا أنَّه مُختطَفٌ فِعلًا، والقضيَّةُ لا تخُصُّ الأستاذةَ صفاءْ وحدَهَا وإنما تَخُصُّ بلدَنَا والأمنَ فِيهَا. ولنْ نَصمُتَ حتَّى نَصِلَ إلَى الخَاطِفينْ.

قالَ المُذيع:

- بيانُ الداخليةِ زادَ الأمرَ تعقيدًا، فهُناكَ اعترافٌ رسمِيٌّ الآنَ باختطافِ ثُمَّ التفَتْ إلَى صفاءْ وسألَهَا.

- ما تفسيرُكَ لاختفاءِ الابنةِ؟

- لا تفسيرَ عِندِي، وفِي كُلِّ الأحوالِ أحمِّلُ الشرطةَ مسؤوليةَ سَلامَةِ زوجِي وابنتِي وعليهَا البحثُ عنهُمَا حتَّى العثورِ عليهِما.

***

Battanalu PUBLISHING HOUSE

الفصل السّادس

أنهَتْ صَفاءُ مُقابلاتِهَا التلفازيةَ الّتي تابعَهَا الملايينُ مِنَ المُواطنينَ مِنْ كُلِّ الدُّولِ فِي وَقْتٍ مُتّأَخِرٍ مِنَ الليلِ، وتضامَنَ مَعَهَا عشراتُ المتّصلينَ علَى الهَواءِ مُباشَرةً، ومِنهُمْ شَبابُ الجامعةِ الّذي أعلنَ فِي بيانٍ لَهُ (مُظاهرَةُ الغَدِ ستكونُ تضامُنًا مَعَ خَضراءَ ووالدِهَا اللذين فقدا حرّيتهِمَا، مثلما فقد الشريطُ الحدوديُّ من الوطنِ حريته من قبل الدولةِ المُجاورةِ، مُحمِّلينَ الحكومةَ فِي الحالتينِ مسؤوليَّةَ تحرير الوطن وتحرير الفتاة من محبسها).

وصَلَتْ صفاء إلَى بيتِهَا فوجَدَتْ إخْوَتَهَا وأقاربَهَا فِي انتظارِهَا أَمَامَ البِنايَةِ الّتي تُقيمُ فيهَا فسلَّمَتْ عليهِمْ وأتَى جيرانُهَا يسلِّمُونَ بتعاطفٍ شَديدٍ ويَدعُونَ اللهَ بفكِّ الكَربِ ويُعلِنُونَ تَضامُنَهُمْ معَهَا.

فتحَتْ بابَ الشَّقَّةْ ودخَلَتْ برفقةِ إخوتِهَا وسبعةٍ مِنْ أقاربِهَا جَاؤوا مِنْ أماكِنَ مُختلِفةٍ؛ ليَقِفُوا مَعَ ابنتِهِمْ فِي هَذهِ المَحنَةْ وقَدْ أخبرُوهَا أنَّهُم اتَّصلُوا كثيرًا بِهَا لكِنْ كانَ الهاتِفُ مُغلَقًا فتذكَّرَتْ أنَّهَا لَمْ تفتَحِ الهاتِفَ منذُ أنْ أغلَقَتْهُ فِي الاستديوهاتِ أثناءَ بَثِّ الحلقاتِ ومَا إنْ فتحَتْ الهاتِفَ حتَّى توالَتِ الاتصالاتُ وشَدَّ انتباهَهَا رقمٌ مُمَيَّزٌ فأجابَتْ فَإذا هُوَ الفنانُ نورْ الشربيني المسؤولُ الأولُ عَنِ الفنانينَ فِي بلدها والمُتحَدِّثُ باسمِهِمْ فحيَّا جهودَهَا وطمأنَهَا إلى أنَّ اللهَ سيرعَى ابنتَهَا وزوجَهَا ثُمَّ دلفَ إلَى الموضوعِ مُباشَرَةً.

- هُناكَ ثلاثُ شركاتِ إنتاجٍ سينمائِيّ إحدَاهَا شَركَةٌ صِينيَّةْ والثانيةُ أمريكيَّةْ والثالثةُ عربيَّةْ وطلَبَتْ الشَّركاتُ منهُ أنْ يتوسَّطَ لَهُمْ لتحديدِ موعَدِ معك غدًا للاتفاقِ عَلى تحويلِ قصَّةِ ابنتها لأفلامٍ مَعَ دفْعِ مَبالِغَ كبيرةٍ لَوْ وافقَتِ.

- ولكِنَّ الأمر... (قاطَعَتْهُ صفاءْ).

- يَا سَيِّدَتِي! هما عائدانِ لا مَحَالَةَ وأرَى أنَّ الإسراعَ فِي التَّعَاقُدِ والوضْعُ غامِضٌ أفضَلُ مِنَ التَّعَاقُدِ بَعْدَ ظُهورِهما، وأنَّ المَطلوبَ فقطْ هُوَ سَرْدُ بَعْضِ الخَوارِقِ الّتي كانَتْ تقُومُ بِهَا وبعضَ... قاطَعَتْهُ صفاءْ.

-ابنتِي لَمْ تكُنْ تقومُ بأيِّ أمْرٍ خارِقٍ أوْ غامِضٍ، لكِنَّ الغامِضَ حَقًّا هُوَ اعترَافُ والِدِهَا بذلِكْ، والغامِضُ هُوَ اختفاءُ ابنتِي ووالِدِهَا، والغامِضُ هُوَ السببَ الحقيقِيُّ لاختفائِهَا، والغامِضُ هُوَ مَكانُ اختفائِهَا، ومَنْ وراءِ اختفائِهَا...

- يَا سَيِّدَتِي شركاتُ الإنتاجِ تبحَثُ عَمَّا يُثيرُ شغَفَ الشَّبابِ ووَلعِهِ بالمُغامراتِ وَالألغازْ، وأنَا أدعُوكَ إلَى التفكيرِ الهادِئْ، ولَنْ تخسَرِي شيئًا فِي كُلِّ الأحوالِ، ولكِنْ ستكسَبِينَ لَوْ وافقَتِ علَى إنتاجِ القصَّةِ الألوفِ مِنَ الدولاراتْ، فأنَا أرجُو أنْ تحدِّدِي موعِدًا لَنَا، لَنْ تزيدَ المقابلةُ عَنْ نِصفِ سَاعَةٍ.

- يَا سَيِّدِي إنَّنِي فِي غَايَةِ الاستياءِ مِنْ هذهِ المُكالمةْ ولَولا مَكانتُكَ عِندِي وعِندَ جمهورِكِ الكَبيرِ مَا أكمَلْتُ المُكالمَةَ.

- هَلْ تتصوَّرينَ أنَّنَا لا نُقدِّرُ مَا تَمُرِّينَ بِهِ، أوْ أنَّنا سنسكُتُ كفنانينَ علَى اختفاءِ ابنتِنَا ووالِدِهَا، نَحنُ مُتضامِنونَ معَكَ تمامًا، وقيمةُ عُقودِ شركاتِ الأفلامِ اعتبريهِ دَعْمًا مِنَّا للأسرَةْ.

- مُوافِقَةْ وانتظركم في العاشرة صباح الغد.

بِسُرعَةٍ أعدَّتْ صفاءُ وأخواتُهَا عشاءً خفيفًا تناوَلُوهُ مَعَ ثرثرةٍ عائليَّةٍ مُتوتِّرَةٍ حَولَ مصيرِ الابنةِ ووالدِهَا، وتباينَتْ رُدودُ الفِعْلِ والتفسيراتُ داخِلَ العائلَةِ حَولَ الأفلامِ المُزمَعِ التَّعاقُدُ علَى إنتاجِهَا وبصوتٍ مُجهَدٍ طلبَتْ صفاءُ الاستئذانَ لتنامَ فِي غُرفتِهَا مُرَحِّبَةً بِهِمْ "البيتُ بيتكُمْ".

قَبْلَ أنْ تخلُدَ صَفاءُ إلَى النَّومْ فتحَتْ صفحتَهَا علَى مَواقِعِ التَّواصُلِ ودَوَّنَتْ.

"الشُّكرُ لِكُلِّ مَنْ تضامَنَ معَنَا فِي مِحنتِنَا، أيًّا كانَ شكلُ التَّضامُنِ وأعِدُكُمْ أنْ أتابِعَ مَعَكُمْ تَطوُّراتِ المِحنةِ علَى هذهِ الصَّفحَةِ، طلبْتُ ثلاثُ شركاتٍ أمريكيةٍ وصينيةٍ وعربيّةٍ؛ إنتاجَ قصَّةِ ابنتِي فِي فيلمْ فمَا رَأيكُمْ"؟

أغلقَتِ الكمبيوترَ وبإرهاقِ يَوْمٍ كَامِلٍ ألقَتْ بنفسِهَا فِي سَريرِهَا وراحَتْ فِي نَومٍ عَميقْ.

Battanäili
نسخة غير مخصصة للطباعة

الفصل السّابع

فِي السابعةِ صباحًا نهضَتْ صَفاءُ مِنْ سَريرِهَا مُجهَدَةً، فقَدْ قلقَتْ مَرَّاتٍ كثيرَةً، ومَعَ كُلِّ يقظةٍ كَانَتْ تبكِي تارةً وتُطمئِنُ نفسَهَا بأدعيةٍ وتوسّلاتٍ إلَى اللهِ أنْ يحفَظَ ابنتَهَا وزوجَهَا تارةً وتفكّرُ فِي أمرِ الأفلامِ الثلاثةِ التي تُريدُ أنْ تُنتجَهَا الشركاتُ الفنيّةُ عَنْ ابنتها وأبيهَا. فتحَتْ صفحَةَ التَّواصِلِ الاجتماعِيْ وفتحَتْ صُندوقَ الرَّسائِلِ فوجَدَتْ عشراتِ الرسائلِ للاطمئنانِ عليها وعلى أسرتها ووجدَتْ دعوةً لهَا مِنْ شبابِ الجامعةِ لحضورِ مُظاهرةِ اليومَ التي حوَّلَهَا الشَّبابُ مِنْ مظاهرةٍ للهتافِ ضِدَّ الدولةِ المجاورةِ لاحتلالِها الشريطَ الحدوديَّ إلَى مُظاهرةٍ

للتضامنِ مَعَ الطفلةِ ووالدِهَا مؤكدينَ لهَا أنَّ رئيسَ الجامعةِ بنفسِهِ والأساتذةَ سيحضِرُونَ المُظاهرةَ لدعمِ زميلِهِمْ الدكتور فِي مأساتِهِ، فقرَّرَتْ أنْ تحضرَ المُظاهرةَ التي ستبدأُ فِي الواحدةِ ظهرًا.

فتحَتْ تدوينتَهَا السابقةَ؛ لتطالِعَ ردودَ الأصدقاءِ علَى صفحتِهَا حَولَ آخرَ مَا دَوَّنَتْهُ عَنْ مَوضوعِ الفيلْم. وجدَتْ رُدودًا مُتباينَةً مَا بَينَ مُستهجِنٍ إنتاجَ فيلمٍ تجارِيٍّ يستغلُّ مَأسَاةً اجتماعيةً أوْ تغييبَ وعيِ الشبابِ بِحكاياتٍ خُرافيَّةٍ ومنهُمْ مَنَ استنكَرَ أنْ تَهتَمَّ الأمُّ بإنتاجِ فيلمٍ وتترُكَ مأساتَهَا الإنسانيَّةَ واستوقفَهَا تَعليقٌ مُطَوَّلٌ لصديقٍ يعملُ ناقِدًا سينمائيًّا فِي صحيفةِ "الأيام" مشيرا على الأمِّ أن توافق على إنتاجِ الفيلمِ بهدف معرفَةِ المَصيرِ المُتخيَّلِ لابنتِهَا وزوجِهَا فربَّمَا وصلَ خيال "سيناريستْ" إلَى تخيّلِ الجهةِ التي اختطفَتْ زوجَهَا وابنتَهَا والسببَ ومكانَ وجودِهِمَا.

Baladiili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

عندَمَا قرأتْ صَفاءُ هَذا التعليقَ تحمَّسَتْ جِدًّا للمُقابلةِ مع مندوبي شركاتِ الإنتاجِ السينمائي، ونظَرَتْ إلَى سَاعةِ الكمبيوترِ فَإذا هِيَ التاسعَةُ صباحًا، نهضَتْ مِنْ فِراشِهَا سريعًا وأعدَّتْ إفطَارا لهَا ولضيوفِهَا مِنَ العائلةِ وراحَتْ توقِظُهُمْ وجلَسَ الجميعُ يتداولُونَ خُطَّةَ اليومِ فقالَتْ لهم: إنهَّا ستُقابِلُ شركاتِ الإنتاجِ ثُمَّ ستتَّجِهُ إلَى مُظاهرةِ

الشبابِ اليومَ فِي الجامعةِ وللمرّةِ الثانيةِ يَدورُ حُوارٌ أُسَرِيٌّ حَولَ مَا تُعانيهِ الأسرَةُ، وأبدَى الأقاربُ تضامنَهُمْ مَعَ صَفاءْ وأنَّهُمْ لَنْ يتركُوا البيتَ إلا بَعْدَ عَودَةِ ابنتِهِمْ وأبيهَا.

فِي العاشرةِ تمامًا دَقَّ جرسُ البابِ، فتحَتْهُ صَفاءُ ولأولِ مَرّةٍ تَرى الفنانَ الكبيرَ نورَ الشربيني وجهًا لوجهٍ رُغمَ عملِهَا بالصَّحافَةِ لربعِ قَرنٍ. ومعَهُ خَمسَةُ رِجَالٍ، أخذَتْهُمْ إلَى حُجْرَةِ الاستقبالِ وعرَّفَهَا الفنانُ عَليهِمْ: السيدُ "سميثْ تايلورْ"، يعمل وسيطا فنيا لشركةٍ "ساس" الأمريكيةْ ومعَهُ السيدُ شرقاوي سالمْ مترجمًا، وهذا السيّدُ "شين بان" مُمثّلًا لشركةِ الإنتاجِ الفنِّيِّ الصينِيّ معَهُ السيّدُ أبو الليف شرقاوي مُترجِمًا، وهَذا السِّيدُ محمود الليثي مُمثّلًا لشركةِ الأنوارِ العربيةِ للإنتاجِ السنيمائِيْ.

رحَّبَتْ صَفاءْ بالحضورْ ودخلَتْ إحدَى قريباتِهَا حَاملةً العصائِرْ.

وبدأتْ جلسَةُ التفاوضِ بإبداءِ الجميعُ حزنَهمْ وتضامنَهمْ مَعَ الأسرةِ فِي هَذهِ المُصيبةِ، وأنَّ الهدفَ وراءَ إنتاجِ الفيلمِ ليسَ التجارةَ أوِ المكسبَ فقطْ وإنَّمَا لتوصيلِ رسالةٍ إنسانيةٍ للعالمِ كُلِّهِ مِنْ أقصَى الشَّرقِ إلَى أقصَى الغربِ وأنَّ البشرَ مهْمَا تغيَّرَتْ ثقافتُهُمْ شَرْقًا وغَرْبًا إلا أنَّ غرائب الطبيعة والخوارق والمآسِيَ الإنسانيةَ تجمَعُ الجميعَ.

شكرَتْهُمْ صَفاءْ وقالَتْ:

- إنَّ الجانِبَ المادِيَّ ليسَ هُوَ مَا يشغَلُهَا وإنَّمَا تتمنَّى أنْ يتناوَلَ الفيلمُ قصَّةَ ابنتِهَا ووالدِهَا والأسرةِ البسيطةِ التي تنتمِي إليها وألا يخرُجَ السيناريُو علَى القيّمِ التي تربَوْا عَليهَا وَلا يُسيئ إلَى الأسرةِ أوْ البنت وأبِيهَا، واشترطَتْ أنْ تحصُلَ علَى نُسخَةٍ مِنَ السيناريُو قبلَ أيِّ شيءٍ أوِ اتفاقٍ ماليّ، وسألَتِ المُترجِمَينِ الاثنينِ عَمَّا إذا كانَتْ رسالتُهَا قَدْ وصلَتْ إلَى مُمَثّلِي الشركتينِ فأجَابَا: بِالتأكيدْ.

هُنَا تدخَّلَ الفنانُ نورْ الشربيني وأكَّدَ أنَّه بصفتِهِ الفنيَّةِ سيضمَنُ تنفيذَ التعاقدِ، وأنَّهُ لَنْ يسمَحَ بأيِّ تجاوُزٍ أخلاقِيّ.

أردفَتْ صَفاءْ أنَّها لَنْ تكتُبَ سيناريُو الفيلمْ، وليسَ لديهَا وقْتٌ لكتابةِ القصَّةْ وأنَّ أقصَى مَا يُمكِنُ فعلُهُ أنْ تسرِدَ لهُمْ جانِبًا مِنْ حَياةِ الابنة والأسرةِ ويمكِنُهُمْ تسجِيلُهُ الآنَ ولِكُلِّ شَركَةٍ الحَقَّ فِي صَياغَةِ هَذهِ القصَّةِ وتقدِيمِهَا سينمائيًّا بلغةِ بلادِهِمْ ولكنَّهَا تطمَعُ أنْ تكونَ النهايَةُ مُفسِّرَةً لاختفاءِ ابنتِهَا والجِهَةِ التي اختطفَتْهَا والسَّبَبُ وأيْنَ هُمَا الآنْ.

وافقَهَا الفنانُ وممثّلُو الشَّركَاتِ، فقَدْ قالَ الرَّجُلُ الصِينِيُّ إنَّ الفَنَّ يَجِبُ أنْ يُعبِّرَ عَنِ الإنسانِ فِي الدُّولِ الناميَةِ وكيفَ يقعُ أسيراً لاستغلالِ فقرِهْ وأنَّهُ سيطلِعُهَا علَى نِهايَةٍ مُدْهشَةٍ لقصَّةِ ابنتِهَا.

بينَـما قـالَ المُنتِـجُ الأمريـكِّي: إنَّ شركتَـه مَعنيَّـةٌ بخـوارقِ الطَبيعَـة وتقديـمِ الخيـالِ العلمِـيّ ومِـنْ هُنَـا سـيكونُ لنَـا تفسـيرُنَا المُختلِـفُ لاختفـاءِ الابنـْة.

بينَمَا قالَ المنتجُ العربي: إنَّ مَهمَّتَهُ صَعبَةٌ فِي ظِلِّ المُناخِ السائدِ وإنَّهُ سيحاولُ أنْ يَطرَحَ رُؤيةً تتماشَى مَعَ المَنطِقِ والذِّهْنِ العربِيِّ بِالتأكيدْ.

بَدَأتْ صَفاءُ فِي سَردِ قِصَّةِ ابنتِهَا علَى عجَلٍ مُؤكدةً أنَّ الفَنَّ سيُكمِلُ مَا تجاهَلَتْهُ مِنْ جُزئياتٍ وتفصِيلاتْ لكنَّهَا ستسرِدُ الخُطوطَ العريضةَ لقصَّةِ ابنتِهَا والأسرةْ. قالَتْ:

- كنْتُ أنَا وزوجِي زُملاءَ فِي الجامعةِ وفِي كليّةٍ واحدَةْ أحبَبْنَا بعضَنَا وتزوَّجْنَا لتقارُبِ المُيولِ؛ فهُوَ يحب الأدبَ العربِيَّ وأنَا مُولَعَةٌ بالكتابةِ الصُّحُفيَّةِ، شَقَّ كُلٌّ مِنَّا طريقَهَ الذي يحبِّهُ ونجَحَ فيهِ، فأصبحَ هُو أستاذًا للأدبِ العربِيِّ، وأنَا رئيسَةُ قسمٍ فِي الجريدَةِ التي أعمَلُ بِهَا. ظللْنَا عشْرَ سنواتٍ دُونَ إنجابٍ، وكثيرًا مَا سالتْ دُموعِي مَعَ قصصِ الإنجابِ بَعْدِ الحِرمانِ فِي المُسلسلاتْ، وَلا أنسَى تأثرِي "بخضرَا الشريفةِ" أمِّ أبِي زيدٍ الهلالِيِّ، وتمنَّيْتُ أنْ يَرزُقَنِي اللهُ مَولودًا ذكرًا أوْ أنثَى، لا يَهُمْ، واستجابَ اللهُ لدموعِي وتوسلاتِي، ورزقَنَا ابنتَنَا، وفرِحَ والدُهَا فرَحًا كبيرًا، وأسعَدَتْهُ عُيونُهَا الزرقاءُ التي تشبِهُ عُيونَ جَدَّتِهَا،

وذهَبَ والدُهَا ليسجِّلَ ابنتَهُ فِي سِجلاتِ المواليدِ باسمِ "زرقاءْ اليمامةْ"، أولا لزُرقةِ عينَيْهَا الشديدة، وتأثّرِه بقصة فتاةِ الجزيرةِ العربيةِ "زرقاءْ اليمامةْ"، التي رأتِ الأعداءَ علَى مَسيرةِ أميالٍ، غيرَ أنَّ مُوظَّفَ سجلِ المواليدِ رفَضَ تمامًا تسجيلَ ابنتِنَا باسمِ "زرقاءْ اليمامةْ"، مُبرِّرًا رفضَهُ بِوُجودِ تعليمات تمنَعُ الأسماءَ المركبَّةْ. فَإنْ شَاءَ سَمَّاهَا "زرقاءْ" فقطْ أوِ "اليمامةْ" فقطْ، وترجَّاه زوجِي كثيرًا أنْ يسمِّيَهَا كمَا أرادَ فرفَضَ، أدارَ الموضوعَ فِي رأسِهِ. أيسمِّيهَا زرقاءْ فِي السجّلاتِ ويناديهَا هُوَ والجميعُ بزرقاءِ اليمامةِ؟ سأل المُوَّظَفِ متعجلا ومتبرما:

- هل ستسمِّيهَا زرقاءَ؟

هُنَا تدخَّلَ شَيخٌ كبيرٌ واقفٌ يستمِعُ إلَى الحِوارِ فقالَ لزوجي يَا بُنَيَّ! اسمُ زرقاءْ اسمٌ مُستهجَنٌ فلَوْ سمَّيتَهَا خضراءَ سيكونُ أفضلَ فهناكَ كثيرٌ مِنَ السيداتِ تُسمَّى بهذا الاسم، أمَّا زرقاءُ فَهذا اسمٌ غَريبٌ.

تذكَّرَ زوجي بُكائِي تأثُّرًا "بخضرا الشريفة" فِي المُسلسَلِ، وهزَّ رأسَهُ مُوافِقًا الشَّيخَ وطلَبَ مِنْ مَسؤولِ سِجلِ المواليدِ أنْ يُسمِّيَ مولودَتَهُ خضراءْ وعادَ إلَى البيتِ وذكَّرَنِي بحوارِنَا حَولَ خَضرا الشريفةْ وأخبَرَنِي بالاسم، وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَحفظِّي علَى الاسمِ؛ لغرابتِهِ فإنَّنِي تقبَّلتُهُ شيئًا فشيئًا وأحببْتُهُ حتَّى أصبحَ كُلَّ حَياتِي.

Bathaalii
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

وروَتْ صَفاءْ مَواقِفَ مُتعدِّدَةً للطفلَةِ وذَكائِهَا الخارقِ وبصيرتِهَا النافذةِ وشخصيَّتِهَا القويَّةِ ومشاهداتها الكثيرةِ رُغمِ صِغَرِ سِنِّهَا لأفلام وقنوات ومواقع في الإنترنت حَولَ الفضاءِ وغرائبِ الطبيعةِ وغيرِهَا مِنَ الخوارقِ التي تدمِنُ القراءَةَ عنْهَا ومُشاهدةَ أفلامها.

ثُمَّ قصَّتْ بِدايةَ مُشكلاتِ ابنتها مَعَ زميلاتِهَا، وهِيَ خِلافاتٌ طُفوليَّةٌ لَوْ وَجَدَتْ مَنْ يَقُومُ بِحَلِّهَا أولًا بأوَّلٍ فِي المَدرسَةِ مَا حدثَ الذي حدَثْ، وقالَتْ إنَّ خَلافاتِ ابنتِهَا كانَتْ مَعَ أربَعِ فتياتٍ، أولياءُ أمورِهِنَّ مِنْ ذُوِي النُّفوذِ، وقَدْ مارسْنَ عَلَى ابنتِي حَالةً مِنَ الَّتنمُّرِ مِنْ مُهاجماتٍ دائمةٍ وإطلاقِ الإشاعاتِ حتى تكونَ مكروهَةً مَنبُوذَةً بَيْنَ أقرانِهَا، وانتَهَى الأمرُ بالمأساةِ التي نَمُرُّ بِهَا الآنْ، المأساةُ التي أتمنَّى مِن كُلِّ منكم أنْ يضَعَ سيناريُو للنهايةِ يتخيل فيه أينَ يمكنُ أن تكونَ ابنتها وأبُوهَا الآنَ؟ ومَنِ اختطَفَهُمَا؟ ولِمَاذا؟

هنا، اهتَمَّ المُنتجونَ بمعرفةِ بعضِ التفصيلاتِ عَن الابنة، نَوعِ الطعامِ، سلوكياتِهَا فِي الأسرَةِ ومَعَ صديقاتِهَا، هَلْ هِيَ مُنطوِيَةٌ؟ والكثيرِ مِنَ الأسئلةِ مِنْ أجلِ أنْ يُعِدُّوا سيناريُو جيدًا.

وأخرَجَ الفنانُ نورْ الشربيني عُقودَ الشركاتِ الثلاثةْ وطلَبَ مِنهَا التوقيعَ عَلَى العَقدِ واشتَرَطَتْ صَفاءْ أنْ يَنُصَّ العقدُ علَى ضرورةِ اطّلاعِهَا

على السيناريُو قبلَ أيِّ شيءٍ وأنَّ الشركةَ يجِبُ أنْ تلتَزِمَ بالقصَّةِ التي سمعُوهَا الآنْ أمَّا النهايةُ فَهِيَ مَتروكةٌ لكلِّ شركةٍ. لَهَا أنْ تُعْمَلَ خيالَهَا وأنْ تضَعَ تصوُّرَهَا لمكانِ اختطافِهِمَا والسَبَبْ.

اتفَّقَ الجميعُ أنَّ الطرقَ علَى الحديدِ وهُوَ ساخِنٌ مِنْ مَصلحَةِ الفيلمْ، ولذلِكَ فإنَّ السيناريوهاتِ الثلاثةَ ستكونُ مُعَدَّةً فِي خلالِ أسبوعٍ، لكِنْ صفاءْ طلبَتْ أنْ تأتِيَهَا مشاهدُ النهايةِ غدًا أوْ بعْدَ غَدٍ، فالذي يَعنِيهَا فِي الفيلمِ هُوَ الإجابةُ عَنِ السؤالِ اللغز: أيْنَ اختفَتْ الابنة وأبُوهَا؟ أمَّا باقِي تفاصيلِ الفيلمِ فليسَتْ ذاتَ شأنٍ كبيرٍ لدَيْهَا قِيَاسًا بالكارثَةِ التي حلَّتْ بِهَا.

وقَّعَتْ صفاءُ العقودَ الثلاثةَ وجَاءَ فيهَا مُوافقةٌ مِنَ الشركاتِ الثلاثةِ عَلى حريَّةِ صفاءْ فِي التعاقدِ علَى القصَّةِ مَعَ الشركاتِ الثلاثَةِ، وأنَّ لِكُلِّ شركَةٍ الحَقُّ فِي صياغَةِ السيناريُو كَمَا تَراهُ، وأنْ تضَعَ النهايةَ المناسبةَ مِنْ وجهَةِ نظَرِ الشركةِ طالمَا أنَّ النهايةَ الواقعيّةَ لَمْ تتحدَّدْ بعدُ وأنَّ الأفلامَ الثلاثةَ ستُعرَضُ فِي دُورِ العرضِ فِي تاريخٍ واحدٍ بَعْدَ ثلاثةِ شهورٍ مِنَ الآنْ حتّى لا تُضارَّ شركةٌ مِنهُمْ وأنَّ الأفلامَ ستكونُ جاهِزَةً فَي خلالِ ثلاثةِ شهورٍ فقَطْ.

وقَّعَ الفنانُ نورْ الشربيني شاهِدًا وضامِنًا لِهَذا الاتفاقِ، وانصرَفَ الجميعُ مَعَ وعْدٍ بتقديمِ سيناريُو النهايةِ المُقترحةِ لكلِّ فيلمٍ فِي خِلالِ ثَمانٍ وأربعينَ ساعةً عَلى الأكثَرْ.

مَـا إنْ خـرجَ الضيوفُ حتّـى اقتحَمَ أقاربُ صفاءْ الصالـونَ، وكأنَّهُمْ ينتَظِـرونَ خُـروجَ الضيـوفِ وامتـلأتِ الغرفـةُ باللغـطِ، فمنهُـمْ مَـنْ يسـتنكِرُ أنْ تتعاقـدَ صفـاءُ عَـلى الفيلـمِ فِي هذهِ الظـروفِ، ومنهُمْ مَنْ يطلُـبُ دُورًا فِي الفيلـمِ، ومنهُمْ مَنْ يسـألُ عَنِ القيمـةِ الماليَّةِ للتعاقُدِ، وكيـفِ سـتتصرَّفُ فيهَـا صفـاءْ؟ وهَلْ سـيكونُ المبلغُ فِي البنكِ باسـمِهَا أمْ باسـمِ زوجِهَـا بوصفِـهِ صاحِـبَ القصَّةِ ورجُـلَ البيتْ؟

لَمْ تَشَأْ صفاءُ أنْ تشغَلَ بالَهَا بهذهِ التساؤلاتِ فقَدِ انطلقَتْ؛ لتلحَقَ بمُظاهرةِ الجامعةِ التي ستنطلِقُ فِي الواحدةِ ظهرا؛ للتضامُنِ مَعَ ابنتِهَا وزوجِهَا.

مَا إنْ وصلَتْ صفاءْ إلَى فناءِ الجامعةِ الواسعِ وَجَدَتْ آلافَ الطُّلابْ، ووجَدَتْ صُورةً للدكتورْ مَطبوعةً مَعَ صُورةِ الابنة الموجودةِ علَـى مواقعِ التواصلِ الاجتماعِيِّ بكمِّياتٍ كثيرةٍ، بَلْ تكادُ اللافتاتُ تُكونُ مَطبوعةً بتصميمٍ واحدٍ وعليهَا الشِّعارُ نفسُهْ.

Battanäilü PUBLISHING HOUSE

(حمايةُ خضراءَ = حمايَةُ للوطَنْ)، (كلُّنَا الدكتورْ طاهر وخضَراءْ)، (نُحَمِّلُ وزارة الشُّرطَةَ والأمن مَسؤوليةَ الحفاظِ علَى صِحَّةِ خضراءْ وصِحَّةِ مُواطنِي الحُدودْ).

ولاحَظَتْ أنَّ جنودَ الشرطةِ يُحيطونَ بالمُظاهرةِ مِنْ بعيدٍ دُونَ تدخلٍ فِي مُجرياتِهَا أوْ تضييقٍ عَلَى المُشاركينَ فيهَا كَمَا لاحَظَتْ أنَّ المنصَّةَ الرئيسةَ يقِفُ عَليهَا رئيسُ الجامعةِ وعميدُ الكليَّةْ وأنَّ اللافتَةَ الكبيرةَ وراءَ المُتحدثينَ تحمِلُ صورةً كبيرةً للدكتورْ وابنتهما، وعليهَا عِبَارَةٌ (خضراء الوطن).

مَا إنِ اقتربَتْ صَفاءْ مِنَ المنصَّةِ حتَّى رحَّبَ بهَا مُذيعُ التظاهُرَةِ وقدَّمَهَا مَعَ تهليلٍ للجُمهورِ بالتأييدِ لَهَا والتضامُنِ مَعَهَا.

قالَ رئيسُ الجامعةِ: لعلَّنَا سمِعْنَا بالأمسِ فِي التلفازِ بيانَ وُزارةِ الداخليةِ التي أعلنَتْ أنَّهَا لَنْ تهدَأَ حتَّى تجِدَ إجابةً للسؤالِ: أيْنَ الدكتورْ وابنته؟ وفِي كلمتِهَا شكَرَتْ صَفاءْ الشرطةَ علَى الإيضاحِ، وأكدَّتْ أنَّ دَوْرَ الشرطةِ ليسَ التضامُنَ بالقلبِ والكلماتِ، بَلْ بالأفعالِ والإجراءاتْ ومهمَا كانَتِ الجِهَةُ التي اختطفَتْ زوجَهَا وابنتَهَا فعلَى الشرطة أنْ تُرجِعَهُمَا وأنْ تكشِفَ الحَقيقَةْ.

مَا إنْ تركَتْ صَفاءُ المنصَّةَ حتَّى التفَّتَ حَولَها كاميراتُ القنواتِ، وانهالَتِ الأسئلةُ، ومِنهَا سُؤالٌ عَنِ الفيلمِ المُزمَعِ إنتاجُه عَنْ قصَّةِ ابنتِهَا، فَحَكَتْ: أنَّهَا وقَّعَتِ اليومَ عَقدًا مَعَ ثلاثِ شركاتٍ لإنتاجِ ثلاثةِ أفلامٍ: صينِيٍّ وأمريكِيٍّ وعربِيْ وأنَّهَا مَعنِيَّةٌ بكيفَ تكونُ النهايةُ فِي الأفلامِ، وتفسيرِ اختفاءِ ابنتِهَا وزوجِهَا.

فِي طريقِ عودتِهَا استقلَّتْ سيّارةً، وكانَ السائِقُ مُنسجِمًا مَعَ إذاعةِ الأغانِي، ومَا إنِ انتهَتِ الأغنيةُ حتّى فوجِئَتْ صَفاءْ بإعلانٍ لمؤسَّسَةٍ شهيرةٍ فِي النظاراتِ الطبيَّةِ تعلِنُ عَنْ إصدارٍ جديدٍ مِنَ العدساتِ باسمِ "عدسَةْ خضراءْ"، وكيفَ أنَّ العدساتِ تجعَلُكَ تَرى مَا لا يُرَى، وقالَ السائِقُ ساخرًا: أمعقولٌ بهذِهِ السرعَةِ استغلُّوا اسمَ الفتاةِ؟ هزَّتْ صَفاءْ رأسَهَا. ولَمْ تَشأْ أنْ تخبِرَهُ أنَّها أمُّ الفتاةِ التي يستخدِمُونَ اسمِهَا فِي الإعلانْ.

Bahandili
PUBLISHING HOUSE

الفصل الثّامن

الحـيرةُ والقلـقُ يملآنِ قلبَ صفاءَ مَعَ كُلِّ رسـالةٍ مِـن الدكتور، تارةً تأتِيهَا الرسالةُ مِنْ حِسَابٍ إلِكترونِيٍّ مَجهولٍ، يغلَقُ بَعْدَ إرسَالِ الرسالةِ، وتـارةً تأتيهَـا مِـنْ هاتِفٍ خـاصٍّ لا يتلقَّى الـرُّدودَ علَى المكالمـاتِ، تارةً تَجهَـشُ بالبُـكاءِ عندَمَا تفكّـرُ أنَّ مَصيراً مَجهولًا أحـاطَ بِابنتِهَا وزوجِهَا وتـارةً تنشَـغِلُ مَـعَ مُتابَعَـةِ الحملاتِ المُتضامنـةِ مَعَهَـا ومَـعَ الدكتور والابنـةِ وأدهشَـتْهَا مَـا قالتْـهُ فتيـاتُ المدرسـةِ فِي اللقـاءاتِ الإعلاميـةِ معهُـنَّ ومَـا ردَّدْنَهُ مِنْ قِصَصٍ خُرافِيَّةٍ، ولأوَّلِ مَرَّةٍ تعرِفُ الأُمُّ مِنْ خِلالِ حَديثِ طَالباتِ المَدرسَةِ أنَّ ابنتَهَا كانَ لهَا صَفحةٌ علَى مَواقِعِ التواصُلِ تبـثُّ فيهَـا أشـياءَ خرافيـةً، وأنَّهَـا كانَـتْ تتواصَـلُ مَـعَ آلافِ المُتابعـينَ

بَثًّا لرسـائِلِهَا المُصـوَّرَةِ، حاولَـتِ الأمُّ البحَـثَ عَـنِ الصفحـةِ فِي جهـازِ ابنتِهَـا ففشَـلَتْ ولَـمْ تصَـلْ إلَى شيءٍ فاعتـبَرَتْ أنَّ كُلَّ ذلِـكَ ضِمْـنَ حمـلاتِ التَّشـويهِ أوِ التَّضليـلِ التـي يرتكبُهَـا المُجتمـعُ ضِـدَّ ابنتِهَـا، مثلَـمَا فعلُـوا فِي اسـتغلالِ اسـمِ ابنتِهَـا للدعايـةِ الإعلانيـةْ حتّـى وصَلَ الأمـرُ إلَى قِيـامِ البَعـضِ بإطـلاقِ قناةٍ أسْـمَوهَا (قنـاةُ خـضراءْ)، زعمُوا فيـهِ أنَّهُـمْ يتواصلُـونَ مَعَهَـا رُوحِيًّا وأنَّ كُلَّ مُشـكلاتِ المُجتمعِ سَـوفَ تَحُلُّهَـا خـضراءُ، مِـنْ إيجـادِ شَريـكِ الحيـاةِ، ورَدِّ المُطلَّقَـةِ، وتزويجِهَـا، وإطالةِ الشَّـعرِ وعِـلاجِ المَسِّ والسِّـحرِ والأمراضِ المُسـتعصِيةِ والتفوّقِ الـدراسِيِّ والمِهَنِّـي وجلـبِ الـرِّزقِ. وهُـوَ الأمْرُ الـذي دَعَا صفـاءْ إلَى أنْ تتواصَـلَ مَـعَ مُحامِـي الأسرةِ طالبـةً مِنـهُ رَفْـعَ قضايَا لوقفِ بَـثِّ قناةِ خـضراءَ الفضائيـةِ وقَضَايَـا عـلَى كُلِّ مَـنْ أسَـاءَ إلَى ابنتِهَـا أوِ اسْـتَغَلَّ اسـمَهَا فِي إعلانـاتٍ تُجاريـةٍ أوْ ترويـجٍ للخُرافـاتِ، حـصَرَ المُحامِـي قُرابـةَ خَمْـسٍ وثلاثـينَ دَعْـوَى قَضَائِيَّـة، وفتحَـتْ فمَهَـا مِـنَ الدَّهشَـةِ عِندَمَـا أفادَهَـا المُحامِـي أنَّ بعضَ المُحامِينَ سـيرفعُونَ قضايَـا قتلٍ ضِدَّ الفتـاة باعتبارِهَـا كانَـتْ سـبَبًا فِي قتلِ بعـضِ النَّاسِ، وأكَـدَّ المُحامِيُ أنَّ هـذهِ القضايَـا تفتقِـدُ دليـلًا مَاديًـا يثبِّتُهَـا، ولذلِـكَ سـتُحفَظُ ولَـنْ تَتِمَّ مُحاكمـةٌ لابنتهـا، وأنَّ مُعظـمَ هـذهِ القضايَـا يفتعِلُهَـا المُحامـونَ مِـنْ أجـلِ الشُّـهرةِ الإعلاميَّةِ.

زادَ قلقُ صَفاءْ عندَمَا ذهبَتْ إلَى الصَّحيفَةِ التي تعمَلُ بِهَا؛ لتطلب إجازَةً مِنَ العملِ للظروفِ الَتي تَمُرُّ بِهَا أسرتُهَا فَوجدَتْ حالةً مِنَ الخوفِ والهلعِ لدَى بعضِ زملائِهَا ممنْ كانَتْ علَى خَلافٍ معهُمْ ويبذلُونَ جَهدًا؛ لترضَى عنهُمْ. كَما حصلُتْ على الإجازةِ فورَ تقديمِهَا الطلبَ إلى رئيسِهَا وهو الذي كانَ يمتَنِعُ مَنْ قبلُ عَنْ منحِهَا الإجازاتْ. كَما وجدَتْ كثيرينَ مِنَ الزملاءِ يَبتعدُونَ عنْهَا أثناءَ الزيارةِ دُونَ أنْ تعرِفَ سببًا لذلِكْ.

فِي زيارةٍ قَصيرةٍ لَمْ تتعَدَّ خَمسَ دقائقَ قامَتْ زميلةُ ابنتها التي تُقيمُ بِالقربِ مِنهُمْ بقَصِّ أخبارِ المَدرسةِ لصفاءْ فِي هذهِ الأيامِ وممَا نقلَتْهُ أنَّ الطالباتِ الأربعةَ قَدْ تَمَّ نقلُهُمْ إلَى مَدارِسَ أخرَى لَمْ يُعلَنْ عنْهَا، وأنَّ الفَصْلَ حدثَتْ بِهِ حَالاتُ بُكاءٍ وصُراخٍ جَماعِيّ ورغمَ مجِيءِ رجُلِ دِينٍ وإخصائياتٍ نفْسياتٍ لا يزالُ الفَصْلُ مُضطربًا وأنَّها شَخصيًّا لنْ تذهَبَ إلَى المَدرسَةِ مِنَ الغَدِ لِمُدَّةِ أسْبُوعٍ. وقالَتْ إنَّ البعضَ يَقُولُ هَذا ذَنبُ الفتاة التي آذيتمُوهَا بِلا سَبَبٍ والأكثريةُ تَقُولُ إنَّ الفتاة تنتقِمُ مِنهُمْ بأشعَةِ عينَيْهَا عَنْ بُعدٍ وأنَّها هِي سببُ مَا يحدُثُ فِي المَدرسَةِ الآنْ.

وَسْطَ هَذا التَّشَوُّشِ تذكرَّتْ صفاءْ أنَّ موعِدَ شركاتِ الإنتاجِ السينمائِيِّ معَهَا مَسَاءَ اليومِ؛ لِكي يُحضِّرُوا لهَا المَشاهِدَ الأخيرةَ

فِي الأفلامِ الثلاثةِ التي تُجيبُ عَنْ السؤالْ (أيْنَ اختفَتْ ابنتها وزوجها؟ ومَنْ وَراءَ اختفائِهَا؟) قالَتْ لنفسِهَا إنَّ صَفحاتِ التَّواصُلِ الاجتماعِيِّ سبقَتْ شَركاتِ الإنتاجِ السينمائِيِّ الثلاثةِ فِي وَضعِ إجابةٍ عَنْ السُّؤالْ أيْنَ اختفَتْ الابنة؟ ومَنْ وَراءَ اختفائِهَا؟ وإنْ كانَ مُعظَمُ تفسيراتِ صَفحاتِ التَّواصُلِ غيرُ حقيقِيٍّ ومَجردُ شائعاتٍ مثل أنَّ ابنتها قَدْ تزوَّجَتْ بالجِنِّ كَمَا قالَتْ إحْدَى التدويناتِ، أو أنَّ الهَدفَ مِنْ إخفائِهَا هُو إلهاءُ الشَّعْبِ عَنْ قضايَاهُ الحَقيقيَّةِ. وأوَّلُهَا حمايَةُ الأرضِ، والإنسانِ فِي مُحافظاتِ الحُدودِ مِنْ التَّلُوِّثِ الإشعاعِيِّ المُسَرطِنِ أو تصويرُ مَا حَدَثَ باعتبارِهِ تغطيةً عَلى جَريمَةٍ ارتكبَتْهَا الطالبةْ وعَشَراتُ التدويناتِ الّتي كتبَهَا المُدوّنُونَ عَلى مَواقِعَ التَّواصُلِ الاجتماعِيْ.

فِي المَسَاءِ وفِي المَوعِدِ المُحَدَّدِ حَضَرَ الفنانُ نورْ الشربينْي ومَعَهُ مُمَثِّلُو الشركاتِ الثلاثةْ، وتناقَشُوا فيمَا نشرَتْهُ وسائِلُ التَّواصُلِ والقنواتِ الفضائيةِ مِنْ قِصَصٍ ومَدَى الاستفادةِ مِنهَا فِي الفيلمْ. رفضَتْ صفاءْ اعتمادَ أيَّةِ قِصَصٍ غَيرِ الروايَةِ الرَّسميَّةِ الَتي قصَّتْهَا عَليهِمْ وعَدَمَ الاعتدادِ بأيِّ كلامٍ أثيرَ، أوْ نُشِرَ خِلالَ الأيامِ الماضيَةْ وأنَّ المَسموحَ بِهِ كخيالٍ فِي الفيلمِ فقطْ تَخَيُّلُ مَكانِ اختفَاءِ الابنة والزوج ومَنْ وَراءَ اختفائِهَا. ولِكُلِّ فيلمٍ الحَقُّ فِي الاجتهادِ فِي تَخَيُّلِ

Battamalli PUBLICATIONS
نسخة غير مخصصة للطباعة

سيناريُو الاختفاءِ؛ فرُبَّمَا يُساعِدُ ذلِكَ فِي اكتشافِ الحقيقَةِ وأكّدَتْ لهُمْ أنَّ هَذا مَا تَمَّ الاتفاقُ عَليهِ فِي اللقاءِ الأولِ. هُنَا تَدَخَّلَ الفنانُ نور الشربيني وقالَ: إنَّهُ يَضمَنُ تنفيذَ الاتفاقِ وأنَّ الشركاتِ الثلاثَةِ أحضَرَتْ سيناريوهاتِ الاختفاءِ فعلًا فِي مَظروفٍ مُغلَقٍ، فكُلُّ شركَةٍ تفضّلُ عدمَ الكشفِ عَنْ رُؤيتِهَا فِي تفسيرِ الاختفَاءِ وهُوَ مَا يَجِبُ أنْ تلتزِمَ بِهِ صَفاءُ ولا تُفْصِحُ لوسائِلِ الإعلامِ أوِ المواقعِ الإلكترونيةِ عَنْ رُؤيةِ كُلِّ فيلمْ.

تَوافَقَ الجميعُ عَلَى هَذا وانصَرَفَ الفنانُ نورُ الشربينيْ ومَعَهُ مُمّثّلُو شركاتِ الإنتاجِ وبلهفَةٍ أخذَتْ صفاءُ السيناريوهاتِ الثلاثَةِ وبَدَأتْ تَقْرَأ.

Battanäiliı
PUBLISHING HOUSE

الفصل التّاسع

مُلَخّصُ نِهَايَةِ فِيلمْ انشطاراتْ نفسيَّةْ
(Psychological fractures)
لِشَرَكَةِ sas الأممريكيَّةْ

هبطَ الرجالُ الثلاثةُ بالمصعدِ من شقةِ الدكتورِ وركبوا سيارةً كبيرةَ الحجمِ فخمةً سوداءَ مضببةَ الزجاجِ وانطلقتْ السيارةُ وصفاءُ تتابعُها بدهشةٍ من الشرفةِ حتى انحرفتْ السيارةُ الى الشارعِ الأيمنِ فاختفتْ عن نظرِ صفاءْ.

بابتسامةٍ قالَ الرجلُ الذي يجلسُ بجوارها

- أهلًا يا خضراء، جئنا إليكِ في الوقتِ المناسبِ كما وعدناكِ، أليسَ كذلكَ؟

- نعمْ وأشكرُكُم.

- عـن أيِّ وعـدٍ تتحدثـانِ؟ ومـن أنتـمْ؟ هـلْ تُخْفـينَ شـيئًا عـن والـدكِ يـا ابنتـي؟ سـألَ الأبُ بخليـطٍ مـن الدهشـةِ والاسـتنكارِ والتأنيـبِ.

- الحقيقةُ يا أبي...

- الحقيقـةُ هـي مـا سـنقصُّهُ عليـكَ الآنَ. قاطعَهـا الرجـلُ الـذي يجلـسُ بالمقعـدِ الأمامـيِّ، وأردفَ قائـلًا ابنتُـك تتواصـلُ معنـا منـذُ عامـين، عـلى صفحـةٍ خاصـةٍ بمركزِنَـا العلمـيِّ لدراسـاتِ القـوي الخارقـةِ، وحتـى لا تلومَهَـا، نحـنُ فرضْنَـا عليهـا تلـكَ السريـةَ، حرصًـا عـلى مـا نقـومُ بـهِ مـن أبحـاثٍ.

- أيـةُ أبحـاثٍ؟ إننـي أسـتاذُ جامعـيٍّ وأفهـمُ معنـى البحـثِ العلمـيِّ، ومـا تقومـونَ بـهِ يخالـفُ أخلاقيـاتِ البحـثِ العلمـيِّ التـي تتطلـبُ أنْ يعـرفَ وليُّ أمـرِ الطفـلِ ويوافـقُ عـلى بحـثِ حالـةِ ابنِـهِ، وبعيـدًا عـن أخلاقيـاتِ البحـثِ العلمـيِّ - بنـبرة غاضبـة قـال - توقفـوا عـن السـير لـو سـمحتم، أعيدونـا إلى البيـت، فما تقومـونَ بهِ لا علاقَـة لـهُ بخطـواتِ البحـثِ العلمـيِّ، هـذا دجـلٌ يتدثـرُ بالعلـمِ وتغذِّيـهِ وسـائلُ الاتصـالِ، هذا شـغل عصابـات وليس مراكـز أبحاثٍ.

Battanalii PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

- لا يـا سـيدي، فـارقٌ كبـيرٌ بـينَ أبحاثِـكَ في علـمِ البلاغةِ والشـعرِ، والبحـثِ العلمـيِّ الـذي نقـومُ بـه حـول الاسـتفادةِ مـن الظواهـرِ الخارقـةِ، أنظـرْ، أنـتَ بأبحاثِـكَ لمْ تـدرِ مـا يـدورُ في بيتِـكَ وفي غرفـةِ ابنتِـكَ، بينـما العلـمُ الذي نقومُ بـهِ جعلنَا نتواصلُ معَها ونشـعرُ بكلِّ مـا تقـومُ بـهِ، ونوجهُهَـا في كلِّ تـصرفٍ، وعندما شـعرْنَا بالخطـرِ يحوم حولهـا وأنَّ الشرطَـة سـتلُقِى القبـضَ عليهـا، لمجـردِ تنفيذِهـا بعـضَ التجـاربِ التـي أمرناهـا بهـا أسرعْنَـا وأنْقذْنـا الموقفَ.

- بم أمرْتُمْ ابنتي؟

- جرَّبْنا نتائجَ بحثِنا العلميِّ في معلِّمِها الأستاذِ أحمدَ.

- مـاذا أسـمعُ؟ هـلْ مقتـلُ الأسـتاذِ أحمـدَ كانَ فعلًا بأيـديْ ابنتي وبتوجيـهٍ منكمْ.

- نعمْ.

- أنتمْ قتلةٌ.

- في سبيلِ العلمِ يهونُ أيُّ شيءٍ.

- أيُّ علمٍ؟ علمُ القتلِ؟ العلمُ لهُ غاياتٌ نبيلةٌ غيرُ ما تفعلونَ، وللأسفِ ورَّطتُّمْ بنتي الطفلةَ البريئةَ في جرائمِكمْ.

- لا سيدي، ستعرفُ نبلَ أبحاثِنا عندما تأتي معنا.

- آتي معكم؟ إلى أين آتي معكم؟

- إلى بلدِنا في أوروبا، وترى حجمَ الإنفاقِ على الأبحاثِ، والجديةِ التي نعملُ بها، ستعرفُ ما الذي نسعى إليهِ.

- إلى أينَ نتجهُ الآنَ؟ سألَ الدكتورُ في ذعرٍ.

- إلى مطارِ العاصمةِ، لنتوجهَ مباشرةً إلى بلدِنا، أنتَ أحضرتَ معكَ وثيقة السفرِ عندما طلبناها منكَ في المنزلِ، ومدوَّنٌ فيهِ اسمُ ابنتِكَ ونحنُ أعددنا التذاكرَ الخاصةَ لطائرةٍ خاصةٍ وسيطلعُ عليكَ الصباحُ وأنتَ في أوروبا.

- وإذا رفضتُ؟

- لماذا ترفضُ عرضًا بأجرٍ كبيرٍ لكَ ولابنتِكَ؟ فلو ذهبْتُما معنا ستنالان ثلاثةَ ملايينَ دولار، نظيرَ مشاركتِكما في البحثِ العلميِّ، وهو مبلغٌ لا يحلمُ بهِ وزيرُ البحثِ العلميِّ في بلدِكمْ، ولا تنس أن ابنتَك

متهمة في قتلِ معلمِها، فلو كُشِفَ أمرُها – ومن السهلِ كشفُهُ – ستُحْبَسُ مدي الحياةِ، ولولا أنها طفلةٌ كانتْ ستُعدَمُ.

صمتَ وأطرقَ يفكرُ فيما حلَّ بهِ، ونظرَ إلى ابنتِهِ، هلْ هذهِ الطفلةُ يخرجُ منها ذلكَ كله، إنهُ بعدَ كلِّ الذي سمعَهُ وأقرَّتْ بهِ الطفلةُ بالصمتِ وعدمِ النفيْ تأكدَ أنَّ أمورًا كثيرةً حدثتْ دونَ علمِهِ، إنَّهُ لا يستطيعُ الدفاعَ عن ابنتِهِ، كيفَ يدافعُ عن شيءٍ لا يعلمُ عنهُ إلا هذه اللحظةَ، هلْ علِمَتْ صفاءُ بما كانتْ تفعلُهُ ابنتُها في السرِّ من تواصلٍ معَ أجانبَ ومشاركةٍ في عملياتِ قتلٍ؟ معقولٌ كلُّ هذا يحدثُ في بيتي؟ وأنا أدَّعِي أنني باحثٌ كبيرٌ ومطلعٌ؟

أحسَّ بضعفِ موقفِهِ وأنهُ ريشةٌ في مهبِّ الريحِ وأنَّ الموضوعَ أكبرُ من قدرتِهِ على المواجهةِ نظرَ إلى ابنتِهِ كأنَّهُ يستنطِقُهَا أنْ تنفي هذا، فانصرَفَتْ ببصرِها خجلى من والدِها، نظرَ إلى الثلاثةِ الذين يتصرفون معه بمنتهي الثقةِ وقدْ قاموا بحجزِ التذاكرِ وتجهيزِ الطائرةِ الخاصةِ وإعدادِ كلِّ شيءٍ وقالَ بصوتٍ واهنٍ

- وكمْ سنبقى في أوروبا؟

- فقطْ شهرين أو ثلاثة وستعودانِ، ونكونُ قدْ أنجزْنا مهمتَنَا العلميةَ.

- ولكنْ ماذا سنقولُ لأمِها التي ستنهارُ لوْ علِمَتْ بكلِّ هذه الجرائمِ والأحداثِ كما أنَّ القناةَ الفضائيةَ قد أعدَّتْ حلقةً، ولا بدَّ وأنْ أتداخلَ فيها.

- كما قلتُ لكَ، سنصلُ إلى أوروبا صباحا، وسنعدُّ رسالةً صوتيةً، سَتُرْسَلُ من هاتفٍ دوليٍّ معدٍّ لذلكَ، لنْ يستطيعوا معرفةَ مكانِكَ، ولنْ يُسْمَحَ لهمْ بالردِّ، وسنسجلُ لكَ الرسالةَ فورَ وصولِنا.

في الحاديةِ عشرَ صباحًا رأي من زجاجِ نافذةِ الطائرةِ مبانيَ العاصمةِ الأوربيةِ التي بدأتْ تتضحُ شيئًا فشيئًا، هنا قالَ له كبيرُ المجموعةِ

- أهلا بكَ في باريسَ.

تحركتْ سيارةٌ خاصةٌ بهمْ من المطارِ، لمْ يستطعْ ترجمةَ اسمَ المؤسسةِ المكتوبِ على السيارة. وبعدَ ربعِ ساعةٍ كانوا في جناحٍ فخمٍ، اتضحَ أنه استراحةٌ ملحقةٌ بمعهدِ البحوثِ العلميةِ التابعِ لشركةٍ كبرى في مجالِ البحوثِ الكهرو نفسيةٍ. وبعدَ أنْ وضعوا حقائبَهم قالَ له كبيرُ الباحثين

- لا داعي لفعلِ أيِّ شيءٍ غيرِ مرتبٍ معنا، لن تستطيعَ التحركَ خارجَ المبني أو الاتصالَ بأحدٍ خارجَهُ، فهذهِ قواعدُ العملِ لدينا،

ومن الآنَ سنعتبرُكَما من أسرةِ الباحثينَ، أو المبحوثينَ، لا يهمُّ، المهمُ الاستجابةُ للتعليماتِ وهذا لا يخصُّكَ وحدَكَ، جميعُ العاملينَ هنا أجازتُهُمْ سنويةٌ، سيشاركونَك هذا الحجرَ العلميَّ.

شعرَ أنَّ الدنيا تضيقُ عليهِ وأنَّهُ أصبحَ منْبتّا عنْ كلِّ العالمِ، فشعرَ بطاقةٍ سلبيةٍ تدفعُهُ إلى قبولِ الوضعِ الراهنِ مؤقتًا فقالَ في استسلامٍ

- طالما أنا أصبحتُ من فريقِ الباحثينَ أو المبحوثينَ كما تقولُ، أليسَ من حقي أنْ أطلعَ على طبيعةِ البحثِ العلميِّ الذي سأشاركُ فيهِ؟ هلْ هو بحثٌ فيزيائيٌّ؟ أمْ بيولوجيٌّ؟ كيمائي؟ طبي؟ أي نوعٍ من البحوثِ؟ وماذا سيحدثُ لابنتي بالضبطِ؟

- أنتَ بعدَ شهرينِ أو ثلاثة ستعودُ لبلدِكَ، وستنقطعُ صلتُكَ بنا تماما، فليس من السهلِ أن نوضحَ لكَ كلَّ جهودِنا العلميةِ على مدارِ سنواتٍ، والمتاحُ هو أنْ أقولَ لكَ طبيعةَ البحوثِ التي تنصبُّ حولَ تحويلِ الطاقةِ النفسيةِ الموجودةِ بالإنسانِ، وتحويلِها إلى طاقةٍ كهرونفسيةٍ، تستطيعُ التأثيرَ في إنسانٍ آخرَ، فمثلما يستطيعُ صاحبُ الطاقةِ الخارقةِ أن يثني قطعةَ حديدٍ أو يحركَ حجرًا من مكانه كانتْ تجاربُنا لتحويلِ الطاقةِ الخارقةِ إلى شحنةٍ قادرةٍ على تسريعِ حركةِ الدمِ في الجسمِ بحيثُ لا يستوعبُها القلبُ أو المخُّ فتؤديَ إلى الموتِ

أو تحويلِ تلكَ الطاقةِ الى قدرةٍ هائلةٍ يمكنُها أن تضغَطَ علي شريانٍ فتسدَّه أو تضغطَ على خلايا المخِّ فتحدثَ نزيفا حادا، أو على الرئتينِ والحجابِ الحاجزِ فيتوقفا عن حركةِ الشهيقِ والزفيرِ، أقولُ لكَ ذلكَ لأنَّنا انتهينا منهُ وجربناهُ على كثيرينَ، ومنهمْ الأستاذُ أحمدُ، وهذهِ مرحلةٌ في الأبحاثِ انتهينا منها وطبقناها عمليًا فلا خطرَ منْ معرفتِها، لكنَّ الجديدَ الذي نعملُ عليهِ حاليًا هو تخزينُ تلكَ الطاقةِ وتوليدِها من بعضِها بالانشطارِ بحيثُ لا نحتاجُ لوجودِها معنا بعد ذلكَ، سنأخذُ منها بعضَ الطاقةِ ونخزنُها لتتوالدَ هذه الطاقةُ في المعاملِ بالانشطارِ، وقدْ قطعنا شوطًا كبيراً معها إلكترونيًا، وخفنا أن تُلقى الشرطةُ القبضَ عليها وتسجنَ فلا نتمكنُ من استكمالِ تجاربِنا، فسارعْنا إلى نقلِها هنا في باريسَ. إننا بصددِ تخزينِ بعضِ القوى الكهرونفسيةِ لاستخدامِها في توليدِ كمياتٍ مضاعفةٍ بالانشطارِ تكونُ قادرةً على الفتكِ بجيوشٍ دونَ الحاجةِ الى أسلحةٍ تقليديةٍ فسوقُ الأسلحةِ التقليديةِ قد يستغنى قريبًا عن كلِّ هذه التجهيزاتِ المعروفةِ من دباباتٍ وطائراتٍ ومدافعَ وذخائرَ وصواريخَ، وغواصاتٍ وحاملاتِ طائراتٍ وقنابلَ وغيرِها، لقد قطعنا شوطا كبيرا في البحوثِ وقد جربناها على مدرسِها الذي ضايقَها ونجَحَتْ عن بُعْدٍ. وكلُّ ما هنالكَ أننا سنحاولُ تجريبَ ما توصَّلْنَا إليهِ مع أفرادٍ آخرينَ.

Baffanelli
PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

- منْ همْ؟

- لا يمكنُنا أنْ نحدثَكَ في شأنِهم الآنَ، ولا الإفصاحَ عنْ أسمائِهم.

- كيفَ لا أعرفُ أسماءَهَمْ وابنتي ستكونُ أداةً في الجريمةِ؟ إنني أرفضُ ذلكَ، إنكمْ تدمرونَ مستقبلَ ابنتي، ألمْ تتعهدوا بالحفاظِ عليها؟

- اطمئنْ لنْ يحاسبَ أحدُ ابنتَكَ، وربما ستمنحُ جائزة، فمن سنجربُ عليهمْ السلاحَ الجديدَ همْ أناسٌ مكروهونَ عندَ حكومتِكم.

- من همْ المجنيُّ عليهِمْ؟

- ليسَ من حقِّكَ المعرفةُ إلا بعدَ نجاحِ التجربةِ الأخيرةِ، قالها كبيرُ الباحثينَ بلغةٍ حادةٍ وقامَ منصرفًا. أضاف قبلَ أنْ يخرجَ: سوفَ تأتيكَ حالًا حقيبتا ملابسَ لكما، وبإمكانكما استدعاءُ أيَّ شيءٍ إلى غرفتِكما بالهاتفِ الداخليِّ، أما أنتِ يا خضراءُ فسنبدأُ معكِ مساءً أولى الجلساتِ. قالها وانصرفَ.

التفتَ الأبُ إلى ابنتِهِ وكلُّهُ عتابٌ وحنقٌ وإحساسٌ بالضآلةِ

- معقولٌ كلُّ هذا يخرجُ منكِ يا صغيرتي، تشاركينَ في كلَّ هذه الأمورِ الخطيرةِ دونَ علمي؟

- لمْ أكنْ أجدُكَ ولا أجدُ والدتي طوالَ اليومِ، وأنا لمْ أفعلْ شيئًا، وقدرتي الخارقةُ هي من عطايا اللهِ لي، ولمْ أستخدمْها لإلحاقِ الضررِ بأحدٍ لا يستحقُ الضررَ.

- والمعلمُ؟ أنسيتِ موتَ المعلمِ.

- كانَ يستحقُ الموتَ، كان نقاشُنا الذي أزعجَهُ عن القدراتِ الخارقةِ، لكني فوجئتُ به يجعَلُني هزءةً في الفصلِ، جعلَ الجميعَ يسخرُ مني ويضحكون عليَّ وجعلني أقفُ ساعةً ووجهي للجدارِ كعقابٍ دونَ رحمةٍ أو شفقةٍ ولم يشفقْ لحالتي النفسيةِ، ولا لدموعي، كانَ يريدُ أنْ يكسَرَني أمامَ الجميعِ، لقد شاركَ هو وبعضُ الزميلاتِ في تشويهي في المدرسةِ، أوشكْتُ أنْ أكرَهَ نفسي، جعلني أعتزلُ الجميعَ ويعتزلُني الجميعُ، لقد قتلني قبلَ أنْ أقتَلَهُ، وفي اليومِ نفسه تواصلَ معي فريقُ البحثِ العلميِّ لاستكمالِ تجاربِنا عن طاقةِ عينيِّ الخارقةِ وسألوني عن سببِ بكائي وشرحتُ لهمْ ما دارَ، فسألوني إن كنتُ أبغي تجريبَ ما وصلنا إليهِ للانتقامِ من المعلمِ فوافقتُ من غضبي وإحساسي بالمهانةِ، طلبوا مني إحضارَ صورتَهُ من على حسابِهِ الشخصيِّ على مواقعِ التواصلِ، فحمَّلتُها على لوحةِ الكمبيوترِ وكبرتُها وبدأتُ أتواصلُ معهمْ خطوةً خطوةً

Baffanâlil
نسخة غير مخصصة للطباعة

وكلُّ ما فعلتُهُ أنْ أفرغتُ شحنةً من غضبي عليهِ عبرَ صورتِهِ الموجودةِ أمامي التي ظللتُ أنظرُ إليها بتركيزٍ شديدٍ لمدةِ ثلاثِ ساعاتٍ.

شعرَ الأب أنَّه يحاورُ فتاةً كبيرةً لا بنتَ أربعةَ عشَرَ عامًا، صدمَهُ منطقُ ابنتِهِ وحديثُها المرتبُ الواثقُ وتأثرُها بالأفلامِ التي تبررُ الجرائمَ، وشعرَ أنَّهُ حَبَسَ نفسَهُ في عالمٍ آخرَ، عالمِ البحوثِ الورقيةِ والدراساتِ الجامعيةِ ومحاضراتِ الطلابِ وشعرَ أنَّ الجيلَ الجديدَ يتجاوزُهُ بسنواتٍ كثيرةٍ.

- هل تعلمينَ أسماءَ ضحاياكِ التاليين.

- لا أعرفُ فعلًا.

- هل أنتِ غاضبةٌ منْ أحدٍ؟

- لا، وإن كنتُ مستاءةً من زميلاتي لكنْ غضبي لا يصلُ إلى مرحلةِ أنْ أتسبَبَ لهمْ في أذى.

- نعمْ، هكذا أريدُك يا ابنتي، تسامحين في الصغائرِ، ولا بدَّ أنْ نعذرَ الناسَ.

Battandili PUBLISHING HOUSE

- أعـدُك يـا أبي ألا أفعـلَ شـيئا بقـواي الخارقـةِ إلا مـا أراهُ في الصالـحِ.

شـكرَ الأبُ ابنتَـهُ ولمْ ينتَـهِ مـن جملتِـهِ إلا وجـاءَ عاملٌ يحمـلُ حقيبـةً مليئـةً بالملابـسِ لهـما. ومـا أن تنـاولَا الغـداءَ حتـى راحـا في نـومٍ عميـقٍ فمنـذُ الأمـسِ لم ينامـا.

في المسـاءِ اتصـلَ كبـيرُ الباحثـين عليهـما وطلـبَ أنْ تسـتعدَ الابنـة لجلسـةٍ بحثيـةٍ مسـائيةٍ، وأنْ يسـتعدَ الأب لتسـجيلِ رسـالتينِ إحداهـما للقنـواتِ الفضائيـةِ والأخـرى مشـابهةٌ لزوجتِـهِ صفـاء. لم تمِـض عـشرُ دقائـقَ حتـى حـضرَ أحـدُ الموظفـينَ ليصحبَهـا إلى المعامـلِ، بينـما مكـثَ موظـف ثـاني مـع الدكتـور لتسـجيلِ رسـالةٍ مفادُهـا "بنتـي قـد ثبـتَ يقينًـا أنَّهـا تمتلـكُ قـوى خارقـةً وأنَّ ماروتْهُ زميلاتُهـا صحيـحٌ ومـا روتْـهُ الإخصائيـةُ مـن أنَّهـا قتلـتْ معلمَهَـا أحمـدَ بأشـعةٍ غامضـةٍ تخـرجُ مـن عينيهـا بعـدَ أنْ أهانَهـا في الفصـلِ صحيـحٌ تمامًـا و المدرسـةُ بطلابِهـا وأوليـاءِ أمورِهـم يعرفـون ذلـك، وأننـي رصـدتُ حالـةً مـن الترصـدِ لابنتـي مـن مجهولـينَ يريـدونَ الثـأرَ منهـا فلـم يكـن أمامـي إلا الهـربَ، وأقـولُ لأيِّ ضحيـةٍ: ابنتـي لا ذنـبَ لهـا في أيِّ شيءٍ، فقـدْ ولـدتْ وبهـا قـوى خارقـةٌ فـما ذنبُهـا؟.

Baffanain
نسخة غير مخصصة للطباعة

بينـما كانَ الدكتـورُ يفكـرُ في قصـةِ ابنتِـهِ ومصيرِهـا كانـت المؤسسـةُ البحثيـةُ مشـغولةً بمهمتـين، المهمـةُ الأولى داخـلَ المعامـلِ في محـاولاتٍ متكـررةٍ لتخزيـنِ جزيئـاتِ الطاقـةِ الكهرونفسـيةِ وزيـادةِ حجمِهـا بالتكثـيرِ الانشـطاري، لتتوالـدُ جزيئـاتُ الطاقـةِ الى مليـاراتِ الجزيئـاتِ في ثـوان مـما يضمـنُ وجـودَ سـلاحٍ متجـددٍ لا يفنـى، منفصـلاً تمامًـا عـن الفتـاة. وفي الطابـق الثالـثِ من المؤسسـةِ كانَ يجـري اجتـماعٌ هـامٌ لقسـمِ الإعـلامِ بالمؤسسـةِ الـذي اعتمـدَ الخطـةَ الدعائيـةَ التـي تقـومُ عـلى عـدةِ محـاورَ.

المحـورُ الأولُ عالميًـا: إطلاقُ عشراتِ الفيديوهاتِ على كل وسـائلِ التواصـلِ الاجتماعـيِّ التـي تتحـدثُ عـن سـلاحٍ قـادمٍ عـبرَ الطاقـةِ الكهرونفسـيةِ سـيقضي عـلى كلِّ التجهيـزاتِ العسـكريةِ القديمـةِ وسـيحلُ محلَ كلِّ أسـلحةِ الدمار المعروفةِ في العالمِ مع شروحٍ مبسطةٍ للشـبابِ لإعـدادِ العـالمَ لـشراءِ أبحـاثِ المؤسسـةِ بمليـاراتِ الجنيهاتِ.

المحـورُ الثـاني خـاصٌّ بـدولِ العـالمِ الثالـثِ: إطـلاقُ حملـةِ فيديوهـاتٍ تناقـشُ الموضـوعِ مـن منظـورٍ دينـيٍّ، فتتحدثُ عـن قوةِ العـالمِ الغيبـي غـيرِ المدرك مثل الحسـدِ والسـحرِ في إحـداثِ الخوارقِ

وقـدرةِ المعالجـين الروحيـين عـلى السـيطرةِ عـلى النـاسِ والتحكـمِ في مصائرِهـم مـع إطـلاقُ قنـاةٍ فضائيـةٍ لهـذه الموضوعـاتِ.

المحـور الثالـثُ وهـو خـاصٌّ بمتابعـةِ قضيـةِ الفتـاة وشـغلِ الـرأي العـامِ بهـا في بلدِهـا مـن خـلالِ صفحـاتٍ تنشـأُ خصيصًا لهـذا وإدارةِ الموضـوعِ في مواقـعِ التواصـلِ الاجتماعـيِّ تمهيـدًا لخلـقِ حالـةٍ مـن الفـراغِ الروحـيِّ والوجـدانيِّ بـينَ الناسِ لتقبُّـلِ نتائجِ البحـوثِ العلميةِ لتفسـيرِ الغامـضِ في حياتِهـم مسـتقبلًا.

ثلاثـةُ أشـهرٍ مضـتْ بالتـمامِ والكـمالِ وهـو حبيـسٌ مـع ابنتِـهِ في معهـدِ البحـثِ العلمـيِّ، بدأها الدكتـور بالحصولِ على موافقةِ رئاسـةِ الجامعـةِ عـلى الإجـازةِ التـي طلبَهـا عـبرَ البريـدِ الإليكـتروني، للحفاظِ عـلى بنتِـهِ مـن حـوادثَ ثأريـةٍ - كـما زعـم - ثـم توالـتْ أيامُـهُ بـينَ الأمـلِ واليـأسِ، وظلـتِ الأبحـاثُ والتجـاربُ تُجـرى صباحـا ومسـاء، أحيانـا يمـلأُ التفـاؤلُ المـكانَ باقـترابِ المهمةِ مـن النجاحِ فيفـرحَ الأبُ بقـربِ العـودةِ للوطـنِ وأحيانـا تفشـلُ التجـاربُ فيصيبـهُ الإحبـاطُ، حتـى جـاءَهُ كبـيرُ الباحثـينَ مهللًا:

- نجَحَتْ المهمةُ يا دكتور، لقد استطعنا تخزينَ بعضِ الطاقةِ الكهرونفسيةِ من قوى الفتاة الخارقةِ وقمنا بتكثيرِها مئاتِ الملايين من المراتِ بعمليةِ الانشطارِ، وأصبحَ بالإمكانِ أن تغادرا باريسَ الى وطنِكم من الغدِ، مع الاحتفاظِ بكلِّ الأسرارِ العلميةِ التي اطلعتما عليها وأي كشفٍ لهذهِ الأسرارِ فسيتمُّ قتلُكَ قبلَ البوحِ بها، أما ابنتك فهي تتعاونُ معنا من فترةٍ كبيرةٍ ونثقُ بها.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

الفصل العاشر

مُلَخّصُ نِهَايَةِ فِيلمْ
(خدعة الجواسيس) 间谍把戏
للشَّرِكَةِ الصّينيَّةْ

هبطَ الرجالُ الثلاثةُ بالمصعدِ من شقةِ الدكتور، وركبوا سيارةً كبيرةً الحجمِ فخمةً سوداءَ مضببةَ الزجاجِ وانطلقتْ السيارةُ وصفاء تتابُعها بدهشةٍ من الشرفةِ حتى انحرفتْ السيارةُ إلى الشارعِ الأيمنِ فاختفتْ عن نظرِ صفاءِ.

لاحظَ الدكتور أنَّ السيارةَ تسيرُ باتجاهِ شارعِ البحرِ، وهو عكسُ الاتجاهِ المؤديْ إلى قسمِ الشرطةِ، فظنَّ أنَّهمْ متوجهينَ إلى مبنى الشرطةِ العامِ في المدينةِ، ولكنَّ السيارةَ انحرفت لتأخذَ اتجاهَ الشارعِ السريعِ المؤدي لخارجِ المدينةِ، وبعد خمسِ دقائقَ كانتْ السيارةُ خارجَ المدينةِ فتحولَ شكُه إلى يقينٍ، وسألَ الضابطَ الذي يجلسُ بجوارِهِ.

- إلى أينَ نسيرُ؟

- ليسَ من حقِّكَ السؤالُ.

- كيف هذا؟ المفترضُ أننا ذاهبون إلى مبنى الشرطةِ وغدًا سنعرضُ على النيابةِ.

- لسنا من الشرطةِ ولن تُعرَضَ على النيابةِ.

بنبرةٍ زاعقةٍ صرخَ:

- منْ أنتم؟

- فات الأوانُ الذي تسألُ فيه "من نحن"، كان الأوجبُ أنْ تسألنا هذا السؤالَ ونحنُ في بيتِك قبلَ الهبوطِ معنا.

- أكررُ: من أنتم؟ هل نحن مختطفان؟

- اعتبرْ نفسَكَ مخطوفا ولا داعي للثرثرةِ.

- سأصرخُ وسأفضحُكُمْ.

- اصرخْ كما تشاءُ، السيارةُ مبطنةٌ بطبقةٍ تكتمُ الصوتَ تماما.

Ballandalili PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

- سترونَ ماذا سأفعلُ عندما نمرُّ من أمامِ نقطةِ التفتيشِ بالطريقِ.

- لن نمرَّ على نقطةِ التفتيشِ، اهدأ حتى لا تراك ابنتُكَ في منظرٍ لا يليقُ بكَ.

- أنتمْ مجرمون.

- لا يعنينا تصنيفَكَ لنا، المهمُّ أنْ تتمَّ المهمةُ والعمليةُ فالتزمْ الصمتَ واستجبِ للأوامرِ وإلا قتلناكَ.

مع آخرِ حرفٍ لكلمةِ قتلناكَ كانَ مسدسٌ صغيرٌ مصوبًا على رأسِه ، فصرخَتْ الفتاة، فقالَ الرجلُ الذي يجلسُ عن يسارِها:

- اهدأيْ يا بنتْ، نحنُ لا نريدُ إيقاعَ أيَّ أذيً بكِ أو بوالدِكِ، لكنَّهُ يصرُّ على استفزازِنا.

- إلى أينَ نسيرُ؟

- ستعرفُ بعدَ ثلاثِ ساعاتٍ.

- ثلاثُ ساعاتٍ؟ منْ أنتمْ؟

- أولمْ تعرفنْا بعدُ؟ نحنُ مخابراتٌ.

Battaniili PUBLISHING HOUSE

- وما علاقةُ المخابراتِ بقضيةِ أطفالٍ تشاجروا؟ أو حتى لو صدقْنَا أنها قضيةُ بنتٍ تشعُّ عيناها بأشعةٍ قاتلةٍ كما يدَّعُونَ ما شأنُ المخابراتِ بقضيةٍ جنائيةٍ؟

- مخابراتُكم لا يشغلُهَا هذا، أما مخابراتُنا فتَنْشَغِلُ بكلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ.

- ماذا تقولُ؟ مخابراتُكم؟ هل أنتم ----------؟

- نعمْ.

- يا أولادَ الْـ.....، أعداءُ بلدي؟ مُلَوْثِو أرضي يقبضون عليَّ من بيتي؟ اللعنةُ عليكمْ.

- اهدأ، وإلا ستكونُ نهايتُكَ الآنَ، فأنتَ لا تعنينا في شيءٍ، نحنُ فقطْ نريدُ ابنتَكَ أما أنتَ فالتخلصُ منكَ واجبٌ، فإن لم تنتهِ ستكونُ نهايتُكَ.

- لنْ أسكتَ، ولنْ أتعاونَ مع مدمريْ بيئةِ وطني، وبلدي لن تترُكَنِي وستجْعَلُكم تندمون على فعلتِكمْ ضدي.

- اخرسْ، لا تنطقْ بكلمةٍ منَ الآنَ.

صرختْ:

- لا تصرخْ في وجهِ أبي.

- نعلمُ منْ هو والدُكِ ومن أنتِ ونتابِعُكِ منْ فترةٍ ونتابعُ صفحتَكِ السريةَ وفيديوهاتِكِ.

- هي مجردُ ألعابِ فتاةٍ، هلْ صدقتُمْ ما ادعيتُهُ فيها من قدرتي على فعلِ المعجزاتِ.

هنا أخرجَ الرجلُ لثامَيْن ولثَّمَ الدكتورَ وابنتَهُ ثمَّ رشَّ مادةً على وجهيْهِما وسرعانَ ما غابا عن الوعيْ.

وواصلتِ السيارةُ سيرَها في مدقَّاتٍ جبليةٍ وأنوارُها مطفأةٌ وصوتُ موتورِها لا يُسمعُ، ومرَّتْ من منطقةٍ وعرةٍ في الحدودِ ودخَلَتْ الشريط المحتل من البلد وانطلقتْ حتى وَصَلَتْ لمبنىً عسكري شديد الحراسةِ.

هبطَ الرجالُ الثلاثةُ وبسرعةٍ كانتْ الفتاة ووالدُها تحتَ إشرافِ مجموعةٍ طبيةٍ، وتمَّ نقلُها إلى حجرةٍ، ووالدِها في حجرةٍ أخرى، وتم أخذُ عيناتٍ من دمِها وإجراءِ فحوصاتٍ بطاقمٍ طبيٍّ وفيزيائيٍّ وكيمائيٍّ وما إنْ أفاقتْ حتى وجدَتْ نفسَها في غرفةٍ وحدهَا، صرختْ.

- أين أبي؟ أينَ أبي؟ هل قتلتم أبي يا أوغادُ؟ أينَ أبي تكلَّمْ؟

- والدكِ إلى الآنَ حيٌّ، لكنَّنا سنقتُلُهُ إن لم تتعاوني معنا.

- كيفَ أتعاونُ؟ وماذا تطلبونَ لإنقاذِ أبي؟

- ستتعاونين معنا لفحصِ قوتِكِ الخارقةِ ومعرفةِ مصدرِها ومدى فعاليتِها ومدى قدرتِنا على تطويرِها واستخدامِها في تطويرِ العلمِ وهذا لصالحِ البشريةِ عمومًا.

في التوقيتِ نفسه الذي كانَ فيه الفريقُ يعملُ على الابنة ويهددُها بقتلِ أبيها للتعاونِ، كانَ فريقٌ آخرُ يضغطُ على الأبِ مهددًا بقتلِ ابنتِهِ وقتلِهِ دونَ أن يعلمَ أحدٌ شيئًا فهما الآنَ في الجزءِ المحتلِّ من الوطنِ ومباحٌ فعلُ أيِّ شيءٍ فيهِما.

Bahandilli PUBLISHING HOUSE

- ماذا تريدانِ منِّي تحديدًا ومن ابنتي؟

نسخة غير مخصصة للطباعة

- مطلوبٌ منكَ أنْ تسجِّلَ رسالةً للقناةِ التي كانتْ ستستضيفُكَ تقولُ فيها - وأخرج ورقة وضعها أمامه فقرأ (أحبُّ أنْ أوضحَ للسادةِ المشاهدين أنْ ابنتي قدْ ثبتَ يقينًا أنَّها تمتلكُ قوىً خارقةً وأنَّ ما روتْهُ زميلاتُها صحيحٌ وما روتهُ الإخصائيةُ من كونِها قتَلَتْ معلِّمَها أحمدَ بأشعةٍ غامضةٍ تخرجُ من عينيها بعدَ أنْ أهانَها في الفصلِ صحيحٌ تماما،

والمدرسةُ بطلابِها وأولياءِ أمورِها يعرفونَ ذلكَ، وأنني رصدْتُ حالةً من الترصُّدِ لابنتي من مجهولينَ يريدونَ الثأرَ منها، فلم يكن أمامي إلا الهربَ، وأقولُ لأيِّ ضحيةٍ: ابنتي لا ذنبَ لها في أيِّ شيءٍ، فقدْ وُلِدَتْ وبها قوىً خارقةٌ فما ذنْبُها)؟

- كيفَ أعترفُ على ابنتي بكلِّ هذهِ الأكاذيبِ؟ ابنتي لا تملكُ طاقةً خارقةً ولمْ تقتلْ أحدًا، هلْ تطلبونَ مني أنْ أزجَّ بابنتي في السجنِ باعترافي هذا؟

- لا، ابنتُكَ تملكُ طاقةً خارقةً، وأنتمْ لا تعرفُونَها ولا تقدِّرُونَها.

- وماذا ستفعلونَ بابنتي؟ وأينَ هي الآنَ؟

- طالما أنتَ تتعاونُ معنا ستكونُ ابنتُكَ في الحفظِ والصونِ، بلْ ويمكنُ أنْ تراها من آنٍ لآخرَ، أما إذا لم تتعاونْ معنا فنهايتُكُمَا معروفةٌ.

- ما المطلوبُ مني؟ ومن ابنتي؟

- المطلوبُ منكَ هو إرسالُ رسائلَ مسجلةٍ منْ آنٍ لآخرَ، حسبما نطلبُ منكَ، والمطلوبُ من ابنتِكَ أنْ تخضعَ للفحوصِ العلميةِ لمعرفةِ قواها الخارقةِ والاستفادةِ منها، باختصارٍ: ابنتُكَ ستكونُ في دائرةِ الفحصِ والبحثِ العلميِّ.

Baffanaili PUBLISHING HOUSE

- كلُّ ما تفعلونَهُ جرائمُ يحاكمُكُمْ عليها القانونُ الدوليُّ، فخضوعُ ابنتي للبحثِ العلميِّ دونَ إرادتِها وبالقهرِ منافٍ للمواثيقِ الدوليةِ.

- لنْ يفعلَ القانونُ الدوليُّ لنا شيئًا، فلا داعيَ لهذهِ الشعاراتِ التي لا يؤمنُ بها أحدٌ سواكُمْ، أدعوكَ للتعاونِ معنا حمايةً لابنتِكَ وحفظًا لحياتِكَ.

لمْ تمضِ ساعاتٍ حتى كانتْ الفتاة قدْ سُحِبَتْ منها عيناتٌ من دمِها وأُخِذتْ عينات من بعضِ جسدِها ومنْ عينِها من مخِّها وبعضِ أعصابِها وتناوبَ الفحصُ عليها منْ أجهزةٍ متعددةٍ للأشعةِ كما خضعتْ لثلاثِ جلساتٍ من البحثِ والاختباراتِ النفسيةِ.

في الغرفةِ الأخرى كانَ دكتورُ طاهر يقومُ بتسجيلِ رسالتِهِ الصوتيةِ التي يعلنُ فيها أنَّهُ حيٌّ يرزقُ، وأنهُ هربَ بابنتِهِ وبقيةِ المطلوبِ تسجيلِه في الرسالةِ، وقامَ الفريقُ بإرسالِها عبرَ وسيطٍ آخرَ للمداخلةِ التليفزيونيةِ.

Battaniili
نسخة غير مخصصة للطباعة

التوجيهاتُ للوسيطِ كانتْ صارمةً في رسالةٍ واحدةٍ ولمْ تتكررْ

"يجبُ عليكَ بعدَ تسلمكَ الرسالةَ المسجلةَ من والدِ الفتاة أن تخطرَ المعدِّيَن في القنواتِ أنَّ والَد الفتاة سيتداخلُ في البرامجِ

وكلهـم سـيرحبونَ وطبعًـا لا بـدَّ أنْ تكـونَ المكالمةُ منْ الهاتفِ المسـلَّمِ إليكـمْ منَّـا، فهـذا الجهـازُ لا يمكـنُ تتبُّعُـهُ، ولابـدَّ مـن قيـامِ اللجـانِ الإلكترونيـةِ التابعـةِ لنـا بمشـاركةِ منشـوراتِ صفـاء بأكـبرِ قـدرٍ، ولابدَّ مـن عمـلِ صفحـاتٍ مؤيـدةٍ لهـا، نريدُهُـم لا ينشـغلونَ بـشيءٍ قـدرَ انشـغالِهِم بقضيـةِ الفتـاة، نريدُهـا قضيـةَ رأيٍ عـامٍّ، فهذا سيسـاعدُنَا في تحويـلِ مظاهـراتِ طـلابِ الجامعـةِ عـن تلـوثِ الحـدودِ إلى قضيةِ الفتـاة المختطفـة، وأيضـا سـيحدثُ هزةً في ثقـةِ المواطنـينَ في الأجهزةِ الشرطيـةِ لديهـمْ، وسيسـاعدُنا في مهمتِنَـا الكبـيرةِ التـي سـنقومُ بهـا بعـدَ تشـبُّعِ الـرأيِ العـامِّ بقضيـةِ الفتاة ولا مانـعَ من شراءِ مسـاحاتٍ إعلانيـةٍ مـن البرامـجِ التلفازيـةِ التي سـتتابعُ قصـةَ الفتـاة لحينِ حجز مسـاحةِ بـثٍ على القمرِ الصناعـيِّ لقناةٍ جديدةٍ باسـمِ (قناة خضراء) تكـونُ مهمتُهـا الترويـجُ لخوارقَهـا" (انتهـتْ الرسـالةُ. نفِّذْ).

في عصرِ اليومِ التالي كانَ مديرُ عام المعاملِ يصعدُ لرئيسِ المخابراتِ، وأطلقَ ضحكةً كبيرةً وقالَ:

- كما قلتُ لكَ سيدي الجنرال، الفتاةُ عاديةٌ جدا، وقد أثبتت البحوثُ العلميةُ والفحوصُ المتعددةُ ذلكَ بما لا يدعُ مجالا للشكِّ، الفتاةُ لا تستطيعُ فعلَ أيِّ شيءٍ وعيناها عاديَّتانِ، وسوف نروِّجُ

في الإعلامِ عنها ما اتفقنا عليه، ونقوم نحن بصناعتِهِ وتهويلِهِ، طبقًا للخطةِ الموضوعةِ.

- هل يمكنُني الاتصالُ برئيسِ مخابراتِهِم الآنَ لعقدِ الصفقةِ.

- تستطيعُ وأنتَ مطمئنٌ، قالها المديرُ العامُّ للمعاملِ وخرجَ بنفسِ الضحكةِ الساخرةِ المنتصرةِ.

اتصلَ رئيسُ جهازِ المخابراتِ بالوسيطِ الدوليِّ طالبًا توصيلَ رسالةٍ إلى رئيسِ جهازِ المخابراتِ محتواها أنَّ ابنتَكُم محبوسةٌ لدينا، وأنَّها فتاةٌ لا تُقَدَّرُ بثمنٍ، فهي تملكُ طاقةً إشعاعيةً جبارةً في عينيها، وأنَّ بإمكانِ مخابراتِنا استخدامَ عيونِها في قتلِ منْ تريدُ من رؤوسِ الدولةِ لديكمْ، ولكننا لنْ نستخدمَ طاقةَ الفتاةِ في أغراضٍ غيرِ سلميةٍ حتى الآنَ، ويمكنُكُم استبدالُها معنا بالأربعينَ عميلا المقبوضِ عليهم طرفَكم، مذكِّرين أنَّ إعادتها إلى وطنِها سيعدُّ انتصارًا سياسيًا لكم.

بعدَ أسبوعٍ واحدٍ كانتْ قواتُ حفظِ السلامِ الدوليةِ تسلِّمُ الفتاة ووالدَها إلى بلدِها على الحدودِ وهما ممسكانِ بعلمِ بلدِهما ويتسلمُ الفتاةَ من قواتِ حفظِ السلامِ كلٌّ من نائبِ الرئيسِ وزيرِ الداخليةِ ووزيرِ التعليمِ وتنقلُ شاشاتُ الفضائياتِ الحدثَ مشيدةً

بقـدرةِ النظـامِ وحكمَتِـهِ وقامـتْ (قنـاةُ خـضراء) بتغطيـةٍ خاصـةٍ للحـدثِ وقدمـتْ تخفيضًـا عـلى منتجـاتِ القنـاةِ التـي تـروجُ لها من سـوائل عطريـة تعالـج السـحر والمـس الشـيطاني بمناسـبةِ عودتِها إلى أرضِ الوطـنِ ووزعَ طـلابُ الجامعةِ بيانًا يشـيدونَ فيهِ بقدرةِ الحشـدِ الطـلابيِّ عـلى إعـادةِ الفتـاة ووالدها.

وترتمي الفتاة ووالدها في حضنِ صفاءِ وسطَ دموعٍ من الثلاثةِ بفرحةِ العودةِ.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

الفصل الحادي عشر

مُلَخَّصُ نِهَايَةِ فِيلمْ
(مَهَمَّةٍ سِرِّيَّةْ)
للشركة العربية العالمية للإنتاج السينمائي

هبطَ الرجالُ الثلاثةُ بالمصعدِ من شقةِ الدكتورِ وركبوا سيارةً كبيرةَ الحجمِ فخمةً سوداءَ مضببةَ الزجاجِ وانطلقتْ السيارةُ وصفاءُ تتابعُها بدهشةٍ من الشرفةِ حتى انحرفتْ السيارةُ إلى الشارعِ الأيمنِ فاختفتْ عن نظرِ صفاءْ

بعدَ قليلٍ من التحركِ طلبَ كبيرُهُم من الدكتورِ وابنتِهِ تعصيبَ عينيْهِما فتلكَ قواعدُ دخولِ مباني المخابراتِ وانطلقتْ السيارةُ حتى وصلتْ إلى حيٍّ هادئٍ قريب من الحي الذي يقيم فيه الدكتور في العاصمة، ودخلتْ في جراجٍ تحتَ الأرضِ في فيلا لا يظهرُ عليها أيُّ مظهرٍ من مظاهرِ المباني الحكوميةِ.

هبطَ الرجال الثلاثةُ وأمسكَ أحدُهُم بالدكتورِ ليقودَهُ معصوبَ العينينِ، وأمسكَ الآخرُ بيدِ الابنةِ، واتجهوا ناحيةَ مصعدٍ وصعدوا إلى الطابقِ الثاني، ودخلوا إلى حجرةٍ، وقفَ الدكتورُ وابنته ونزعَ أحدُ الضباطِ العصابةَ فوجدا نفسَيْهِما في حجرةٍ كبيرةٍ جدًا، بها عددٌ كبيرٌ من المقاعدِ ومائدةٌ للاجتماعاتِ وَرَأَيَا رجلًا يتحركُ من خلفِ مكتبِهِ مرحِّبًا بهما "أهلًا يا دكتورِ، أهلًا يا ابنتي، تَفَضَّلا تَفَضَّلا، أعتذرُ لكما عن هذا الاستدعاءِ العاجلِ، ولكنْ المصلحةَ العامةَ تقتضي ذلكَ..." وقبلَ أنْ يسألَ الدكتورُ سؤالَهُ الذي يؤرِّقُهُ، قالَ الضابطُ الكبيرُ: أهلًا بكم في المخابراتِ، وقدْ سارعْنا بإحضارِكما إلي هنا لنلحَقَكَ ونأْخُذَكَ قبلَ أنْ تقبضَ عليكَ الشرطةُ فجرًا.

مخابراتٌ!، ما شأنُ خلافِ طفلة معَ زميلاتِها بالمخابراتِ؟ قالَ الدكتورُ لنفسِهِ هلْ وصلَ نفوذُ أولياءِ الأمورِ الأربعةِ إلى هذا الحدِّ؟ شعرَ الدكتورُ أنَّ الأمرَ غريبٌ، فتذكَّرَ أنَّ أحدَ الشاكينَ لواءُ شرطةٍ، ولهُ نفوذُهُ، وأنَّ ما يحدثُ معهُ مجردُ تمثيليَّةٌ هابطةٌ تحدث مجاملةً للشاكين ولإفهامِهِ رسالةً مغزاهَا أنَّ هذا اللواءَ والإعلاميَّ والمحاميَّ الذي ينتحلُ صفةَ مستشارٍ في وسائلِ الإعلامِ ورجلَ الدينِ همْ مجموعةٌ من أصحابِ النفوذِ في البلدِ، وَلِمَ لا؟ ففي خلالِ ساعاتٍ، كانَ بلاغُهُم ضدَّهُ قدْ تمَّ تدبيجُهُ، ووصلَ البلاغُ للنيابةِ وتحددَّتْ حلقةٌ

Battanäilü PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

تلفازيةٌ لتجريسِ ابنتِهِ وها هو مقبوضٌ عليهِ هو وابنتُهُ في مكانٍ مجهولٍ ولمْ يتبق شيءٌ غيرُ تحديدِ جلسةٍ في القضاءِ خلال بضعة أيام ليُحْكَمَ على ابنتِهِ بالسَّجْنِ، هنا صرخَ الدكتورُ

- "لا، لا تسجنوا ابنتي".

- اطمئنْ لنْ ينالَكُما أذى، بلْ العكسُ هو الصحيحُ، فدورُنا حمايتُكُم من كل أذى.

- ما المطلوبُ منَّا الآنَ؟

- ستعرفُ بعدّ قليلٍ، لكنَّنَا نريدُ أنْ نستَمِعَ تفاصيلَ المشكلةِ منكما وما أستطيعُ الإفصاحَ عنهُ هو أنّك وَابنتَكَ تحديدًا ستكونان معنَا ولا تقلقْ، لقدْ أعددنا لكما جناحًا مزودًا بكلِّ ما تشتهيهِ ابنتك من لعب "إنترنت" وشاشاتٍ كبيرةٍ ولعبٍ وأفلامٍ كثيرةٍ مما تستهويها رؤيتُهُ وكلُّ طلباتِها مجابَةٌ، وستُحْرَمُ فقطْ من رؤيةِ الناسِ، حتى أهلِها، سيكونُ متاحًا فقط لكَ بعضُ اللقاءات الخاطفةِ تطمئنَّ عليها وتعود لغرفتك.

- لكن ابنتي...

- أعلمُ ما ستقولُهُ وأقدرُهُ تمامًا، ولكن لو عرفتَ السببَ سيزولُ العجبُ والغضبُ.

- أريدُ أنْ أعرفَ رغمَ أنَّ...

أكملَ الضابطُ كلامَ الأبِ:

- تريدُ أنْ تعرفَ سببَ ذلكَ؟ سأقولُ لكَ: هناكَ ثلاثةُ أسبابٍ لتحفُّظِنَا على ابنتكَ في مكانٍ لا يراها فيه أحدٌ، هناكَ سببانِ يمكنُ أن نصرحَ لكَ بهما، وهناكَ سببٌ ثالثٌ جوهريٌّ خاصٌّ بعملِنا في جهازِ المخابراتِ، لا نستطيع إخبارك به ولعلك تتفهم طبيعة عملنا.

ما يمكنُنَا التصريحُ بهِ أنْ ابنتَكَ ثبتَ يقينًا أنَّها قتلتْ معلمَها أحمدَ بأشعةٍ غامضةٍ تخرجُ من عينيها بعدَ أنْ أهانَها في الفصلِ، وأعتقدُ أنْ المدرسةَ بطلابِها وأولياءِ أمورِها يعرفونَ ذلكَ. والسببُ الثاني: أنْ الأجهزةَ الأمنيةَ رصدتْ حالةً من الترصدِ لابنتِكم وهناكَ خطرٌ علي حياةِ الابنةِ، فالتحفظُ عليها في مكانٍ آمنٍ يعدُّ عملًا نبيلًا يجبُ شكرُ الدولةِ عليهِ.

- لكنَّ ابنتي ليسَ بها أيُّ شيءٍ مما تقولُ، هذه مجردُ خرافاتٍ أو تكهناتٍ، وموتُ المعلمِ أحمدَ، حدث فجرًا، ولا يوجدُ أيُّ دليلٍ على وجودِ علاقةٍ لابنتي به.

- ابنتُكَ – ليلتَها – وضعتْ صورةَ المعلمِ علي شاشةِ الجهازِ أمامَها

طوالَ الليلِ، كلُّ ذلكَ مرصودٌ في أجهزةِ المراقبةِ لدينا، ويمكنُك الاطلاعَ عليهِ، ولماذا نذهبُ بعيدًا، والتفت مبتسما:

- أجيبيني يا ابنتي ألمْ تكنْ صورةُ المعلمِ أمامَكِ طوالَ ليلةِ موتِهِ؟

- نعمْ، كانتْ أمامي، وكنتُ أدعو اللهَ أنْ ينتقمَ لي منهُ.

- وبماذا شعرتِ بعدَ موتِهِ؟

- شعرتُ بأن اللهَ استجابَ دعائي.

- هل سمعتَ يا دكتورُ كلامَها؟

- سمعتُهُ، ولا شيءَ فيهِ، هل استجابةُ اللهِ لدعاءِ شخصٍ تجعلُ الشخصَ محلَّ اتهامٍ، القانونُ كما قلتُ ليسَ بهِ أيُّ مادةٍ تجرِّمُ ذلكَ.

هنا تدخلَ الضابطُ المرافقُ لهما من البيتِ، ووجَّه حديثَهُ للضابطِ الأعلى:

- الدكتورُ إنسانٌ فاضلٌ ووطنيٌّ إلى أبعدِ حدٍ، فلماذا لا نصارحُهُ بالسببِ الحقيقيَّ ليتعاونَ معنا؟

هنا ابتسمَ الضابطُ الكبيرُ، وقالَ ضاحكًا

- هو لا يعطيني فرصةً كي أشرحَ لهُ... اسمعني يا دكتورُ، نحنُ بحاجةٍ إلى أنْ تنضمَ ابنتك بقواها الخارقةِ إلينا، لخدمةِ مخابراتِ بلدِها في عملياتِها ضدَّ أعداءِ وطنِنا، والتفت إلى الفتاة قائلا أظنُّ أنَّها لا تمانعُ في خدمةِ وطنِها. وأخذ يشرح: عملياتُ المخابراتِ ضدَّ أعداءِ الوطنِ في الداخلِ والخارجِ نستخدمُ فيها كلَّ ما يمكنُ استخدامه للنيلِ من الأعداءِ، لكننا في ظلِّ المواثيقِ الدوليةِ لا نملكُ إلا تنفيذَ عملياتٍ نوعيةٍ، وسيكونُ لابنتنا فضلٌ كبيرٌ في قسمِ العملياتِ الغامضةِ والمعقدةِ ضد الأعداءِ، وستدهشُ إنْ قلتُ لكَ إنَّ هذا الموضوعَ ناقشَهُ اليومَ قياداتٌ كبرى في الدولةِ، بل إن قرارَ التحفظِ عليها لصالحِ الوطنِ هي فكرةٌ من قياداتٍ كبرى في الدولةِ، فالأمرُ كبيرٌ، أكبرُ مما تتصورُ، ولأنَّ القوانينَ الدوليةَ تمنعُ استخدامَ الأطفالِ في النزاعاتِ الدوليةِ فإنَّ موضوعَكما سيظلُّ طيَّ الكتمانِ لا يعلمُ عنه من خارجِ المخابراتِ سوى أنتَ فقطْ، ولا نريدُ أنْ تعلمَ عنهُ حتى أمِّها، أما ابنتنا فمن هذهِ الساعةِ من المتعاملين مع الجهازِ فهي معنا من هذه اللحظةِ، بالراتبِ الذي تحددُهُ أنتَ يا دكتورُ، وستنالُ تعليمَها وتواصلُ دراستَها وستعيشُ حياتَها بهذا الشكلِ سنةً أو سنتينِ على الأكثرِ.

- لكنَّ ابنتي ليسَ بها هذهِ الطاقةُ.

- يا دكتورُ هذا كلامٌ سابقٌ لأوانِهِ، نحنُ لدينا قرائنُ كثيرةٌ على صحةِ تملُّكِها لقوى خارقةٍ، وكلُّ شيءٍ سيخضعُ للبحثِ العلميِّ، ابنتك ستكونُ محلَّ فحوصٍ ودراساتٍ علميةٍ للاستفادةِ من طاقتِها الخارقةِ وكلُّ ما عليكَ أنْ تباركَ انضمامَ ابنتكم لجهازِ المخابراتِ دفاعًا عن الوطنِ ضدَّ أعدائِهِ.

هنا، صمتَ الدكتورُ فترةً ثمَّ قالَ: خدمةُ الوطنِ لا يتأخرُ عنها إلا جاحدٌ لفضلِ الوطنِ، ونحنُ عائلةٌ لها تاريخٌ مجيدٌ في خدمةِ الوطنِ هذا رأيي، والتفت إلى الفتاة قائلا: لكنْي أريدُ أنْ أعرفَ رأيَك يا ابنتي؟

نظرتْ في وجهِ أبيها فترةً طويلةً ثمَّ نظرتْ إلى سقفِ الحجرةِ وهزَّتْ رأسَها بالموافقةِ.

نظرَ الضابطُ الكبيرُ للدكتورِ وقال: نتفقُ إذنْ على السيناريو، ستظلّان هنا معنا يا دكتور، والشرطةُ ستداهمُ منزلَك فجرَ اليومِ للقبضِ على خضراء، لن تجدَكُما، وستدهشُ زوجُتُكَ من حضورِ الشرطةِ لأنَّها تعتقُد أننا الشرطةُ وأنَّنا قبضنا عليكَ وأخذناكَ، وستقيمُ زوجتُكَ الدنيا وتقْعِدُها مع زملائِها الصحفيين، وسينتشرُ خبرُ اختفائِك، وستظلُّ الوكالاتُ تتناقلُهُ، لا ضيرَ من ذلكَ. وفي المساءِ ستدورُ حلقات القنواتِ الفضائيةِ حولَ ابنتك وقواها الخارقةِ،

Battandiili
PUBLISHING

سيعتذرُ المذيعُ عن عدمِ وجودِك معهم وفقدانِ التواصلِ، سيتاحُ لكَ هاتفٌ تتصلُ منهُ على مقدمِ الحلقةِ، توضحُ للناسِ أنكَ وابنتُك هربتُما من المنزلِ لأسبابٍ ثأريةٍ وخوفِكما من بطشِ بعضِ الأهالي بكما، مؤكدًا امتلاكَ ابنتِك لطاقةٍ خارقةٍ، وتغلقُ الاتصالَ على ذلكَ.

- ولكنَّ الواقعَ والحقيقةَ...

- الواقعُ والحقيقةُ أنكما في مهمةٍ وطنيةٍ تستحقُ التضحيةَ، وطالما أنَّك وابنتُك في أحسنِ حالٍ فلا تقلقْا.

- الموضوعُ تعقَّدَ جدًا، وباعترافي على ابنتي سيُحْكَمُ بالسجنِ عليها أمامَ القضاءِ.

- لا سجنَ لطفلةٍ يا دكتورُ، هو مجردُ تحفُّظٍ، ونحنُ سنتحفَّظُ عليها فيما يشبهُ فندقًا خمسَ نجومٍ، وأنتَ معها، وستلتقي بها، كما اتفقنا، وبخصوصِ عملِك الجامعيِّ سيتمُّ تسويةُ كلِّ شيءٍ تسويةً قانونيةً بلا ضررٍ لكَ، فقطْ دعِ الأمرَ لنا، وادع لنا بالتوفيقِ لخدمةِ الوطنِ.

صمتَ الدكتورُ دقائقَ منكفئًا على ذاتِه، ينظرُ إلى الأرضِ، وأخذَ يديرُ الموضوعَ في رأسِه، ابنتي ستكونُ في الحفظِ والصونِ، ستكملُ دراسَتَها بعيدًا عن بناتِ المدرسةِ ومشاكِلِهن، ستقيمُ في فندقٍ يقدمُ

Battanajiji PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

لها ما تريدُهُ، وسيعطونها راتبًا كبيرًا لا أحلم أنا شخصيًا بهِ، ولا خوفَ عليها فهي في قلبِ مؤسسةٍ شديدةِ الأمانِ، فحتي لو كانَ كلُّ الموضوعِ أكذوبةً ما المانعُ أنْ ندعَ ابنتَنا وكأنَّها في بعثةٍ تعليميةٍ في الخارجِ، أو في مدرسةٍ داخليةٍ، أو رحلةٍ ترفيهيةٍ، ثمَّ أنَّ الموضوعَ يبدو حقيقيًا، فالذي يجعلُ قياداتِ الدولةِ نفسِها تعقدُ اجتماعًا حولَ الموضوعِ لا يمكنُ أنْ يكونَ أكذوبةً، وجهازُ المخابراتُ الذي يعلمُ بتفاصيلِ الموضوعاتِ بشكلٍ سريٍّ يدركُ معلوماتٍ قدْ لا تكونُ متوفرةً عندي، ثمَّ أنَّ الموضوعَ يمسُّ الأمنَ القوميَّ للبلادِ، وابنتي ستعطي طاقتَها المزعومةَ أو الحقيقيةَ لبلدِها، وحتي لو كانَ كلُّ ذلكَ غيرَ صحيحٍ، هلْ تملكُ يا طاهر شيئًا في موضوعٍ ناقشَهُ كبارُ القياداتِ وتنفِّذُهُ المخابراتُ ويسوّقهُ الإعلامُ، ويقرُّ بهِ المجتمعُ المحيطُ بكَ سواءً بناتُ المدرسةِ أو أولياءُ أمورِهِنَّ المتنفذينَ أو إدارةُ المدرسةِ؟ هل ستواجه كلُّ المجتمعِ حكومةً وأهالي؟

شعرَ بالضعفِ إلى حدِّ الاختناقِ، فرفعَ رأسَهُ ليأخذَ نفسًا عميقًا؛ فقدْ أوشكَ أنْ يختنقَ، ثمَّ قالَ في نفسِهِ، طيِّبْ، ما المانعُ أنْ نخوضَ الموضوعَ حتى آخرِهِ وأتركُ ابنتي مع هذا الجهازِ الوطنيِّ الآمنِ، وهمْ يؤكدونَ لي أنَّها ستعيشُ في أمانٍ مرفهةً، فما المانعُ؟

Bottandilli PUBLISHING HOUSE

خرجَ الأبُ من حالةِ التفكيرِ ونظرَ إلى ابنتِهِ فوجدَها صامتة كعادِتِها. سألها: ما رأْيكِ يا ابنتي؟

هـزَّتْ رأسَـهَا في قبولٍ، دونَ أنْ تنطقَ كلمـة واحدة، فقالَ للضابطِ الكبـيرِ الـذي كانَ يقلـبُ في ملفاتٍ تـارةً ويبحثُ عـلى الكمبيوترِ تارةً أخـرى: قبلـتُ مـا عرضْتَـهُ عـليَّ، خدمـةً للوطنِ. يـا ربُ وفقْنـا جميعًا لخدمـةِ وطنِنا.

ظلَّ موجودًا في هذا المكانِ لا يعلمُ ما يحدثُ بابنتِهِ وماهي العملياتُ التي تساعدُ بها بلدَها، وما نوعُ الخدمةِ الوطنيةِ التي تقدمُها، ولكنَّهُ يثقُ في هذا جهازِ المخابراتِ الذي لا يفعلُ إلا ما هو في مصلحةِ البلادِ وظلَّ يتابعُ من خلالِ جهازِ التليفزيونِ المحدودِ القنواتِ، الموجودِ بغرفتِهِ أخبارَ البلادِ، والحوادثَ الكبرى التي انطلقتْ القنواتُ الفضائيةُ تتهمُ الفتاة بأنَّها وراءَ حدوثِها منتهزين اعترافَ الأبِ بأنَّ ابنتَهُ لديْها طاقةٌ خارقةٌ وألصقوا بها كلَّ تهمةٍ.

Bottandilli PUBLISHING HOUSE
نسخة غير مخصصة للطباعة

منها:

موتُ الدكتورِ عبدِ المنعمِ نور الصباحِ المرشحِ الرئاسيِّ المحتملِ، والذي قيلَ عنْهُ إنَّهُ كانَ يعملُ مدعومًا من قويَ خارجيةٍ لا تريدُ الخيرَ بالبلادِ.

مقتلُ الصحفيِّ عبدِ الحليمِ إسماعيل، الذي كانَ يشكِّكُ في كلِّ إنجازٍ تقومُ به الدولةُ، وأصبحَ ليلَ نهارَ في فضائياتِ الدولِ المعاديةِ يسيء لبلدِهِ وقياداتِها.

وجاءَ مقتلُ وزيرِ الدفاعِ ورفاقِهِ في حادثِ الطائرةِ وهو الرجلُ الذي روَّجتْ عنهُ المنظماتُ الحقوقيةُ العالميةُ أنهُ ارتكبَ جرائمَ حربٍ ضدَّ بعض القري ونسفَها بغازِ سامٍ محرمٍ دوليًا مرتكبًا جريمَةَ التطهيرِ العرقيِّ.

ثمَّ الحريقُ الكبيرُ الذي شبَّ في مبنى التليفزيون، فقضى عليهِ تمامًا، وتفحَّمَتْ قرابةُ خمسين جثةً وضاعَ جزءٌ كبيرٌ من أرشيفِ التليفزيونِ ولولا أن البلادَ تملكُ مبانيَ بديلةً لظلَّتْ بلا بثٍ تليفزيونيٍّ أيامًا كثيرةً، وانهالَ رجالُ العلمِ والدينِ والنفسِ وراءَ كلِّ حادثةٍ يشرحونَ للناسِ كيفَ أنَّ الفتاة وراءَ ذلكَ. وبدأتْ الجماهيرُ تطالبُ الدولةَ بالعثورِ على الفتاة وإعدامِها فورًا لتخليصِ البلادِ مما يجري فيها. والأبُ يتابعُ كلَّ ذلكَ بحزنٍ تارةً واندهاشٍ تارةً أخرى، وقالَ لنفسِهِ: نحمدُ اللهَ أنَّ ابنتي موجودةٌ في قلبِ جهازِ المخابراتِ، وإلا كانوا صدَّقوا ما أشاعوه

Battanaliu PUBLISHING HOUSE

عـن ابنتـي مـن ارتـكابِ هـذه الحـوادثِ التـي هـزَّت البـلادَ وقـالَ رُبَّ ضـارةٍ نافعـةٌ، الحمـدُ للـهِ أن ابنتـي بـين أيديهـم فـلا يسـتطيع أحـدٌ أنْ يلصـقَ أيَّ جريمـةٍ.

وفي ليلـةٍ سـوداءَ قضاهـا الدكتـورُ في التفكـيرِ العميـقِ فيما يجري خـارجَ الأسـوارِ مـن حـوادثَ ووجـودِ ابنتـه داخـلَ هـذه الأسـوارِ، ووسـوسَ لـه شـيطانُ تفكـيرِهِ ألا يُمكِـنُ أنْ تكونَ ابنتـي وهي في قلبِ المخابـراتِ وراءَ عمليـاتِ القتـلِ التـي تحـدثُ فعـلًا، كارثـةٌ بمعنـي الكلمـةِ لـو كانَ ذلـكَ صحيحًـا، ثـمَّ تسـاءلَ مـع نفسِـهِ غاضبًـا، لمـاذا تـتركُ المخابـراتُ كلَّ هـذه الشـائعاتِ حول ابنتـي دونَ دفـاعٍ، أتكونُ ابنتـي حقًـا وراءَ القتـلِ والحـرقِ؟

قطـع شـكوكَه هـذه اسـتدعاءُ رئيـسِ جهـازِ المخابـراتِ لـهُ في مكتبِـهِ وقـالَ لـهُ: نهنئُكـما بنجـاحِ كلِّ عملياتِنـا خـارجَ الحـدودِ، لقـد قمنـا بعمليـاتٍ سريـةٍ ضـدَّ أعـداءِ الوطـنِ، مـما جعـلَ قيـاداتِ الدولـةِ نفسَـها تقـررُ شـكرَكما وإخبارَكـما أنكـما مـن الغـدِ أحـرارٌ ويمكنُكـم العـودةُ للبيـتِ بـشرطِ عـدمِ الحديـثِ عـما جـرى، وعـدم فتـحِ الموضـوعِ مـع أحـدٍ وسـوفَ يتـمُّ التعـاونُ مـن آنٍ لآخـرَ باسـتدعاءِ ابنتـك أو تكليفِهـا بمهـامٍ سريـةٍ يمكـنُ أنْ تقـومَ بهـا مـن

Battanalili
نسخه غير مخصصه للطباعه

البيـتِ متـى طلبْنـا منهـا ذلـكَ، مـع اعتبـارِ هـذه المهـامِ مهامًـا مخابراتيـةً وقـدْ تـمَّ تدريبُهـا جيـدًا عـلى المحافظـةِ عـلى سريتِهـا وقـدْ تمـتْ إزالـةُ أيِّ مشـكلاتٍ في مدرسـتِها، فقـدْ تـمَّ نقـلُ الطالبـاتِ الـلائي تعرضـن لهـا بـالأذى، والاتفـاقُ مـع أوليـاءِ أمـورِ الطـلابِ والمدرسـةِ عـلى عـدمِ إثـارةِ أيـةِ مشـكلةٍ سـابقةٍ، وسـوفَ تتلقـى ابنتـك تعليمَهـا مـن البيـتِ حفاظـا عليهـا وعـلى سريـةِ المعلومـاتِ.

في اليومِ التالي عادا إلى البيت وسطَ فرحةٍ كبيرةٍ من الأقاربِ.

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

الفصل الأخير

شَهرانِ كاملانِ مَرَّا دُونَ أنْ تعرِفَ صَفاءْ أينَ ابنتُهَا وزوجُهَا، التقَتْ وَزيرَ الداخليةِ مَرَّتينْ وفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَعِدُ بِمُواصَلَةِ البَحثِ، كثيراً مَا استدعُوهَا إلَى المَشرَحَةِ لمُعاينَةِ جُثّةٍ مُتعفِّنَةٍ؛ لتتَعَرَّفَ إنْ كانَتْ جُثَّةَ زوجِهَا أمْ لا، عناوينُ الصُّحُفِ التي تتحدَّثُ عَنْ كوارث تحدث في البلاد وتفسرها بعيون الفتاة، واعتبرت صحف المعارضة الموضوعِ حَلقةً مِنْ حَلقَاتِ الاختفاءِ القَسرِيِّ مُعدِّدينَ قائمةً مِنَ الاختفاءاتِ التاريخيةِ لشخصياتٍ عَربيةٍ وعالميةٍ اختَفتْ لَمْ يَعُدْ يعرِفُ أحَدٌ مكانَ اختفائِهَا إلَى اليَومْ، نظراتُ المُواسَاةِ مِنَ الجيرانِ والأهلِ والزُّملاءِ فِي العَمَلِ صَارَتْ تؤلِمُهَا أكثَرَ مِنْ كُلِّ مَنْ يُريدُ مُجاملتِهَا صِدْقًا أوِ ادِّعَاءً.

أخبارٌ مُتفَرِّقَةٌ كُلَّ بِضعَةِ أيّامٍ عَنِ اقترابِ الانتهاءِ مِنَ الأفلامِ الثلاثَةِ، حتَّى أخبرَهَا ذاتَ يَومٍ زَميلٌ لَهَا فِي صَفحَةِ الفَنِّ أنَّ رئيسَ الرقابَةِ علَى المُصنَّفَاتِ الفنيَّةِ قَدْ شكَّلَ لجنةً؛ لمُشاهدةِ الأفلامِ الثلاثةِ تمهيدًا لإجازتِهَا أوْ رفضِهَا، فاتَّصَلَتْ صفاءْ بِرئيسِ الرقابَةِ طالبةً مِنهُ بِشكلٍ استثنائِيٍّ حُضورَ العرضِ الخَاصِّ داخلَ الرقابَةِ للأفلامِ باعتبارِهَا تتناوَلُ قصَّةَ ابنتِهَا وزوجِهَا فوافَقَ علَى الفَورْ.

فِي مكتبِهِ استقبَلَ رئيسُ الرقابةِ صَفاءَ وعرَّفَهَا علَى الحاضِرينْ، كانَ مِنهُمْ ناقِدَانِ شهيرانِ وضابِطٌ مِنْ جِهازِ الأمْنِ العَامِ، وبعضُ المعنيينَ بإنتاجِ الأفلامِ الثلاثةِ، وبعضُ مُوظَّفِي الرقابَةِ، واتجَّهَ الجميعُ إلَى القاعَةِ المُجَهَّزَةِ لعَرضِ الأفلامِ الثلاثَةْ. مَا إنْ دخلَتْ الأمَّ وَراءَ رئيسِ الرقابةِ القاعَةَ حتَّى صرَخَتْ مِنْ هَوْلِ مَا رَأتْ؛ فقَدْ رَأتْ ابنتها ووالِدُهَا يَجْلِسَانِ بقاعَةِ العَرضِ، جَرَتْ إليهِمَا احتَضَنَتْهُمَا فِي نَوبَةِ بُكاءٍ هِيستيرِيٍّ، وأخَذَتْ تتحسَّسُ ابنتَهَا وزوجَهَا مِنْ شِدَّةِ الشَّوقِ فِي مَشهَدٍ مُؤثِّرٍ، وبَارَكَ الجميعُ لصفاءْ وللدكتورْ وتوالَتِ الأسئلةُ عَنْ مَعرفَةِ أيْنَ كَانَا، هُنَا اتَّفَقَ مُنتِجُو الشركاتِ الثلاثةِ علَى عَدَمِ مَعرفَةِ المَكَانِ مَخَافَةَ أنْ تختَلِفَ القصَّةُ الحقيقيَّةُ عَنِ المَعروضَةِ فِي الأفلامْ، وناشدُوا صفاء بِعَدَمِ البَوْحِ بِمَكَانِ اختفائِهَا.

Ballanalli
نسخة غير مخصصة للطباعة

شاهَدَ الجميعُ الأفلامَ الثلاثَةْ وَقَدْ لا حَظُوا ابتسامةً مِنْ الفتاة فِي كُلِّ نِهايةٍ لَمْ تختلَفْ مِنْ فِيلمٍ إلَى آخَرْ.

هُنَا وافقَتِ الرقابَةُ علَى عَرْضِ الأفلامِ الثلاثةْ بينَمَا احتفظَتْ الأسرَةُ بسِرِّ الاختفاء.

***

تمّت

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE

Battanäilii
PUBLISHING HOUSE
منشورات بتانة